خاثينتو غراو

السيد ده بيغماليون

مسرحية عالمية


ترجمة: علي ابراهيم أشقر

وزارة الثقافة
في الجمهورية العربية السورية

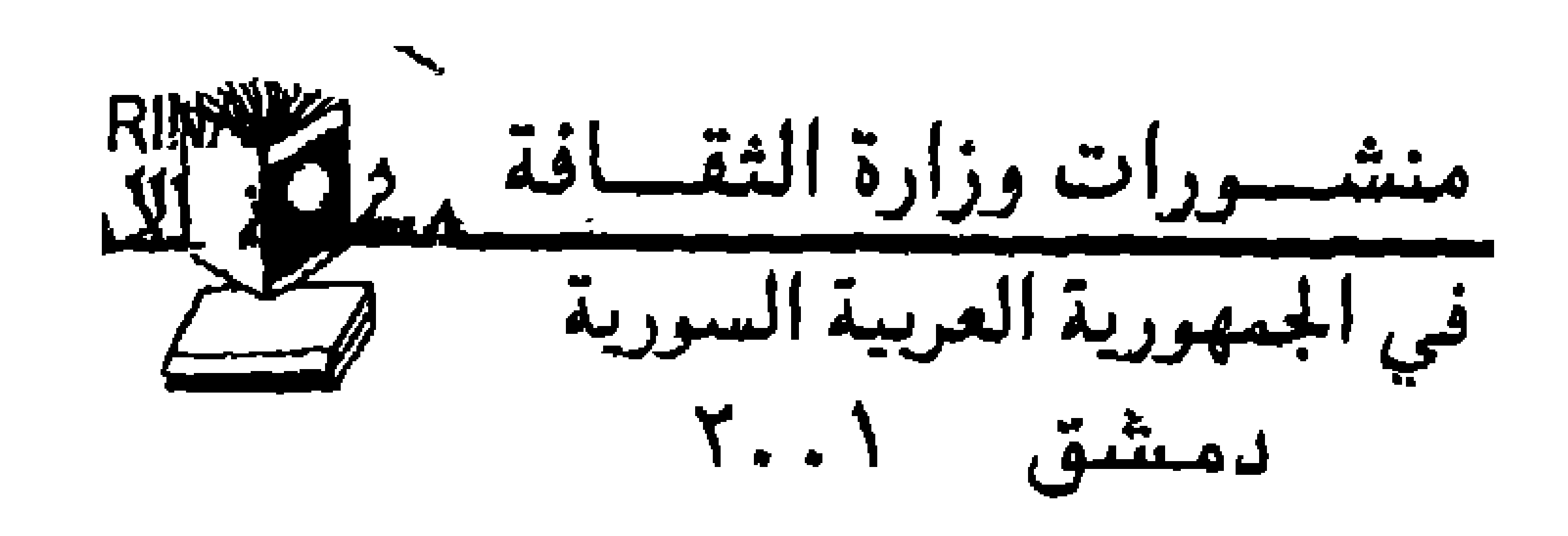
خاثينتو غراو

السيد ده بيغماليون

مسرحية عالمية

ترجمة

علي ابراهيم أشقر



منشـــورات وزارة الثقـــافة

في الجمهورية العربية السورية

دمشق ٢٠٠١

العنوان الأصلي للكتاب :

JACINTO GRAU

EL SEÑOR DE PIGMALIÓN

السيد ده بيغماليون : مسرحية عالمية= EL Señor de Pigmalion/
خـائينتـو غـراو ؛ ترجـمـة علي إبراهيم أشـقـر. -
دمـشق : وزارة الثـقـافـة، ٢٠٠١. - ٢٣١ ص؛ ٢٠ سم. -
(مسرحيات عالمية؛ ٥٩).

١-٨٦٢ غ ر ا س ٢- العنوان ٣- العنوان الموازي
٤- غراو ٥- أشقر ٦- السلسلة
مكتبـة الأسـد

الايداع القانونـي: ع- ٢١ /١/ ٢٠٠١

مسرحيات عالمية

«٥٩»

الشخوص

١ – المقدمة

دونيا هورتنسيا

تريسيتا

بيغماليون

دوق ألدوركارا

بونثانو

دون لوثيو

دون خابيير

دون أوليغاريو

بواب

٢- دمى المسرحية

بومبونينا الجميلة

لوثيندا

كورينا — دمى في خدمة بومبونينا

ماريلوندا

دونديتيلا

خوان الأبله

دون ليندو

بدرو أوردمالاس

النقيب آرانيا

مينغو رييولغو العجوز

العم باكو

بيرو غرويّو

القزم فزّاعة السوق

بيريكيتو إنترئياس

لوكاس غومِث

* * *

خوليا

بيغماليون

دوق ألدوركارا

دون لوثيو

دون خابيير

بواب

مقدّمة [1]

حجرة متعهدّي الحفلات في مسرح ألدور كارا. باب وحيد في قاع المسرح قابل للاستعمال ومبطّن بجلد أحمر، وفي أعلاه عين سحرية بيضوية. في الحجرة مكتب من طراز أمريكي، مغلق، ومنضدتان صغيرتان وآلة طابعة؛ وأرائك ومقاعد كبيرة من الجلد. على الجدران لوحات إعلانية معلّقة فوق بعضها البعض، وصور فنّانين، ولوحة أخرى ضخمة تعلن عن بيغماليون ودماه كالتالي: « نجاح عالمي ! أعجوبة

(١) - يطلق المؤلف على هذا الفصل تسمية قديمةjornada، لكنه يذكره في قائمة الشخوص وفي ختام الفصل باسم: مقدّمة. وهكذا بدأ الفصل التالي بعنوان: فصل أول «١».

ميكانيكية لم يُرَ مثلها قطّ! حدث فريد وخطير وأعجوبة العصور الحديثة!» لوحتان أخريان ضخمتان جداً تمثل كل منها رسماً مختلفاً لبيغماليون، وشرائط مختلفة حرّة وعريضة كُتب عليها اسم صاحب الرسم بحروف كبيرة وملونة. إنها الساعة الثانية بعد الظهر. الحجرة شاغرة.

المشهد الأول

بوّاب يلبس قبّعة مقلّمة، يفتح الباب متقدماً بونثانو.

البوّاب: تفضّل، يا سيدي، تفضّل!.

بونثانو: (**ممثل كوميدي مشهور ذو مظهر استعراضي، وتُرى عليه بوضوح علائم رضا كبير عن النفس. يدخل إثر البواب ويتكلّم بحدّة**). لا تذكرْ لي بيغماليون مرة أخرى، أنا حانق على بيغماليون، حتى صرت أراه في المنام، أتعلم؟.

البوّاب: نعم، ياسيدي، نعم.

بونثانو: أَعلِمْ السيد أوليغاريو بوصولي.

البوّاب: السيد أوليغاريو لم يصل بعد. لكني رأيت دون لوثيو ودون خابيير.

بونثانو: إذاً، قل لهما أو لأيّ منهما إني أريد أن أتحدث إليه فوراً. فوراً، إيه؟.

البوّاب: نعم ، ياسيدي ، فوراً.

بونثانو: قل لهما إن بونثانو ... بونثانو، إيه؟ بونثانو.

البوّاب : نعم، يا سيدي، نعم . بونثانو .

بونثانو : إن بونثانو ينتظرهما، لأمر هام.

البوّاب : نعم يا سيدي ، نعم ، أنا ذاهب .

(ينسحب ويغلق الباب خلفه . يستلقي بونثانو على مقعد كبير، يخلع قبعته ويلقي بها على الأريكة، ينظر مرة أخرى إلى ساعته . يخبط الأرض غاضباً خبطة صغيرة، ويُخرج لفافة ويشعلها . فترة سكون . صمت كامل . يطلق بونثانو نفثات من الدخان في الهواء) .

بونثانو : (يضجر من الصمت ومن بقائه وحيداً مع ذاته . ينهض ويذرع الحجرة جيئة وذهاباً محدّثاً نفسه) . إذا حدثوني مرة أخرى عن بيغماليون فسوف أشتمهم، خاصة إذا ظنوا أن الآخرين لا أهمية لهم بوجود هذا الرجل المتصعلك . (ينظر إلى ساعته مرة أخرى) . لم يأتِ أحد

بعد . الويل لهم ! سيلقون مني المرّ . (يتجه صوب الصوفا التي يتهاوى فوقها وتأخذ ساقاه ترتعدان غضباً) . هم يأخذون الأمور بهدوء ... يا لهؤلاء الناس ! لا يعرفون كيف يتعهدون الحفلات ! (يستلقي على الصوفا ويفرج ما بين ساقيه كثيراً) . هم ناس أفظاظ .

المشهد الثاني

(يُفتح الباب بسرعة، وتدخل دونيا هورتنسيا ترافقها تريسيتا. دونيا هورتنسيا متزيّنة قليلاً، وتبدو شامخة الأنف جداً. أما تريسيتا فكانت متبرّجة).

دونيا هورتنسيا: أنت هنا يارجل!.

بونثانو : (بلهجة أبوية دون أن ينهض أو يصحح من جلسته المسترخية). هكذا يبدو. أهلاً بك، يا تريسيتا. ما وراءك؟.

د. هورتنسيا:(دون أن تفسح المجال لتريسيتا بأن تجيب.) يرغب أعضاء الإدارة في أن يكلّموا هذه (مشيرة إلى بنت أخيها.) للنظر إن كانت تريد القيام بدور درامي في « اليد المعلّقة». يبدو لي حقاً أن الفتاة لن تضيق ذرعاً بأداء دور ما خلال ليلتين. فقد طلبوا إليها أن

يتعاقدوا معها في الساعة الأخيرة، وتلقّيت الرسالة هذا الصباح.

بونثانو : (**من الصوفا**). كعادتهم دائماً. لو كنت مكانك، يا تريسيتا، لرفضت طلبهم.

تريسيتا: (**بملامح طفلة ساذجة بريئة**). أنا أعمل ما تريده عمتي، ما تقوله عمّتي.

بونثانو : فليتجرّع المتعهدون السم، ولتقم بالدور جدتهم أو بيغماليون. دعيك من الفرق الهزيلة يا فتاة، ولو كانت في مدريد.

تريسيتا : دور ليومين فقط. يوم الخميس سيبدأ بيغماليون.

بونثانو : يا للمصيبة! منذ شهر والحديث جارٍ كل ساعة عن هذا الرجل الذي سيكون مهرّجاً آخر. سيُملأ المسرح بالمتفرّجين لمدة ثلاثة أيام، ثم تنتهي القصة، هذا إن بدأت. هم لا يعرفون كيف يكونون متعهدين.

د. هورتنسيا : وما أكبر هذه الضوضاء، يا بني! وكأن أحد الآلهة جاء يعمل هنا!.

تريسيتا : وما أكبر المبلغ الذي أُنفق على الإعلان!.

بونثانو : صدري مشحون غيظاً على بيغماليون .

د. هورتنسيا : أرجّح أن يكون هذا الرجل مخادعاً .

بونثانو: (**ينظر إلى ساعته مرة أخرى**). يقيناً هو ماكر، يقيناً! وداعاً! لن أنتظر مزيداً من الوقت . (**ينهض فجأة ويمسك بقبّعته ويغمسها في رأسه حتى قلبها**). اصنعا لي معروفاً وأبلغا فريق المتعهدين حين يأتي ، بأني انتظرت هنا ما يزيد عن نصف ساعة حتى نفد صبري ، وإني لن أجرّب هذا المساء . أنا ، لن يمتطيني أحد ! كلا! يا سيد .

د. هورتنسيا:(**وقد ملئت اهتماماً**). ماذا جرى لك، يا سيد بونثانو؟ .

تريسيتا:(**مردّدة العبارة ذاتها**). ماذا جرى لك، يا سيد بونثانو؟ .

بونثانو: لا شيء. لن يمتطيني أحد. أتعلمين؟ وإن لم أكن بيغماليون .

د. هورتنسيا: لكن ، ماذا جرى لك، يا سيد؟ .

بونثانو: هذه الدمية ميراندا قد يكون ممثلاً كبيراً، قد يكون ممثلاً دراميا، لكن لن يأتي أحد لمشاهدته . أما أنا، فعلى

العكس منه، إذا مثّلت عملاً، فيُملأ المسرح عن آخره.
أتعلمين؟.

د. هورتنسيا: ومن يشك في ذلك! اسمك وحده ...

بونثانو: (مثاراً بالتدريج ودون مراعاة للسيدة هورتنسيا). قد يكونون ممثّلين كباراً، وعباقرة وتراجيديين عظاماً. لكنهم قضوا أعواماً بعد أعوام وهم يجوبون المحافظات. لكنهم، إذا جاؤوا ها هنا، فالدراما الحقيقية هي شباك التذاكر: ولن يخرجوا بفلس واحد! قد أكون رديئاً جداً وممثلاً فظاً، لكنني قضيت فترة طويلَةَ في مدريد. أتعلمين؟ ... وها هي الصحف دونك. خمسة عقود عُرضتْ عليّ حتى قبل أن أتحدّث عن ترك الفرقة.

تريسيتا: نعم، قرأنا البارحة في الهيرالدو ...

بونثانو: في الهيرالدو وفي كل مكان، هو الجمهور من يطالب بي.

د. هورتنسيا: ومن يشك في ذلك ؟!.

بونثانو: إذا سألت إدارة الفرقة عني قولا لها إني لن أجري

تجـارب الآن، ولن أذهب مع الفـرقـة إلى المحـافظات . فليأخذوا ميراندا وحده .

د. هورتنسيا : لسوف يغضبون جداً .

بونثانو : فليغـضبوا ! قد أكـون ممثلاً سيّئـاً جداً . أتعلمين؟ لكني أدرّ عليهم المال . أنا لن يعلو فوقي أحـد . أتعلمين؟ لن أسمح لأحد بأن يدوسني ، أتعلمين؟ .

د. هورتنسيا : بذلك تحسن صنعاً ! .

بونثانو : بالطبع ! إمّا أنا وإمـا ميـراندا ! إذا أرادوا شـيئـاً مني ، فهم يعرفون مكان إقامتي . أمّا الانتظار ، فلينتظروا هم أو أمّـهـم . لأمـر مـا ، سُـمّيتُ بونثـانو ! وداعـاً ، دونـيـا هورتنسيا ! وداعاً يا فتاة ! لا ، للفرق الهزيلة ! لا للفرق التافهة المزعجة ! .

(ينطلق غاضباً صافقاً الباب وراءه) .

المشهد الثالث

دونيا هورتنسيا وتريسيتا وحيدتين .

د. هورتنسيا : يا للوقاحة! سأسلمهم الجواب في أي يوم آخر . أو فلتسلّمه أمهم ، كما يقول بونثانو! .

تريسيتا : هو غاضب . في الواقع ، يصفّق له الناس كثيراً ، ويكسب كثيراً ، وتتحدث الصحف عنه كل يوم : بونثانو هنا ، بونثانو هناك . ماذا يصنع بونثانو؟ فيما يفكر بونثانو؟ ماذا يقول بونثانو؟ .

د. هورتنسيا : (**تروّح على وجهها بالمنديل**). صار المسرح مخجلاً . أوف! (**ترتمي على مقعد كبير**). دعيني استرح ، يا بنيتي . أيام البرد ، تنتابني الحرقة بعد الطعام دائماً ... أمّا في الصيف ، فإني أختنق . ذات يوم سترينني جثّة هامدة ، وتظلّين دون عمّة .

تريسيتا : ذلك بأنك تكثرين من الأكل ! .

د. هورتنسيا: لا تقـولي حـماقـات، يا امـرأة. آكل مـا هو ضروري. لا بدّ من إقامة أودْ هذا الجسم.

تريسيتا: (**شاردة الذهن وهي تنظر إلى الصور المعلقة على الحائط**). نعم، يا عمتي، نعم.

د. هورتنسيا: (**تروّح بالمنديل على نفسها مرة أخرى لبضع لحظات**). إذا حضر أعضاء الإدارة قولي لهم إنك لا تستطيعين القيام بالدور بأي شكل، في زمن جد قصير.

تريسيتا: لكن، ألم تقولي لي إنه فرصة لي، وعليّ التشبّث بها؟.

د. هورتنسيا: بلى، يا بنيّتي، بلى. لاشك في ذلك. لكنْ يجب عليك أن ترفضي في البداية. بذلك تزداد رغبتهم فيك. أنت ما زلت تجهلين هذه الأمور لأنك غِرّة، ومن حسن حظك أنني أقف إلى جانبك مع كل تجربتي.

تريسيتا: نعم، يا عمتي، نعم.

د. هورتنسيا: منذ أن نبتت أسناني وأنا في المسرح. وظللت أمثل مسرحيات حتى طلع ضرس العقل.

تريسيتا : أيْ لما وصلت إلى قناعة بأنك لا تصلحين للتمثيل .

د. هورتنسيا : ما هذا الهراء؟! على العكس، كنت صالحة جداً. ما أغباك! ألا تعلمين أني كنت ممثلة هائلة في بدايتي؟ ثم تقولين إني لا أصلح للمسرح! .

تريسيتا : وإذْ قلت إنك ...

د. هورتنسيا : أكانت شهرتي وثروتي تزدادان لو تابعت العمل؟ لا شيء من هذا. واعلمي أنك من دوني لن تحصلي على شيء .

تريسيتا :(متأملة اللوحة التي تمثّل بيغماليون). نعم، يا عمتي، نعم .

د. هورتنسيا : بالطبع، نعم! .

تريسيتا : ما أجمل مظهر بيغماليون! أظنه يتنقّل كثيراً، ويكسب مالاً فائضاً! .

د. هورتنسيا : لن يلبث أن يفلس ذات يوم .

تريسيتا : يبدو أنه ما يزال شاباً . وهو ذو شهرة عريضة .

د. هورتنسيا : أجراس الشهرة تسقط . تسقط مهما تكن مكينة .

وها أنت ترين بيالوبوس المرأة المشهورة. فقد رعيتها رعاية أم لابنتها، وساعدتها على الصعود، ولما وصلت قمة الشهرة عاملتني كما تُعامل بائسات دور الإحسان، وانظري إليها اليوم كيف صارت عجوزاً غارقة في البؤس مرة أخرى. أجراس الشهرة تسقط يا بنيّتي، تسقط مهما تكن مكينة.

تريسيتا: حقاً، يا عمتي، حقاً.

د. هورتنسيا: لا أدري لِمَ يخيل إليّ أن بيغماليون هذا سيكون كما يقول المثل: أسمع صوتاً وأرى فوتاً.

تريسيتا: لكن، يا عمتي شهرته عالمية.

د. هورتنسيا: وهي التي يكون سقوطها مدويّاً.

المشهد الرابع

المذكورتان ودون آغوستين ممثل الفرقة. يدخل دافعاً الباب برفق، وحين يراهما، يرفع قبعته برقة كبيرة. هو سيّد شديد الاحتفاء وكثير الحركة.

دون آغوستين: أنتما هنا! اعذراني يا سيدتي! أتعلم الإدارة أنكما تنتظران؟.

د. هورتنسيا: (**ناهضة**) نعم. أعلمناهم برسالة.

د. آغوستين: معذرة، يا سيدتي! هم يتحدثون الآن إلى بيريث مترجم «اليد المعلقة». وهذا السيد غاضب أشد الغضب. بوصول بيغماليون انقلب كل شيء رأساً على عقب.

د. هورتنسيا: آه، أوصل بيغماليون؟.

تريسيتا: (**وقد ملئت فضولاً**). أوصل بيغماليون؟.

د. آغوستين: نعم، وصل هذا الصباح.

تريسيتا : أيشبه صورته في اللوحة؟ .

د. آغوستين : أنا لم أره، وإنما استقبله السيد الدوق في المحطّة. يقال إنه يتمتّع بحضور كبير، وهو الآن لا يمثل، وإنما تقوم دماه بالتمثيل وحدها.

د. هورتنسيا: سنرى هذه الدمى المشهورة.

د. آغوستين: لا عشنا إن لم نرها! .

د. هورتنسيا: لكن، ما دمنا جئنا، فأنت تعلم...

د. آغوستين: يؤسفني أشد الأسف أنكما أزعجتما نفسيكما دون جدوى ! ألف اعتذار لكما باسم الإدارة!

د. هورتنسيا: لكن ، ماذا جرى؟ .

د. آغوستين: لا شيء. تقرّر في الساعة الأخيرة التخلّي عن هذين الدورين بسبب انطلاق الفرقة.

د. هورتنسيا : والآن، طلعتم عليّ بهذه الحجج...

د. آغوستين : كما ترين، يا سيدتي، بيغماليون يريد أن يجري تجارب دماه وحيداً على الخشبة في المساء وفي الليل. حتى الآن، لم تعلم إدارة المسرح بنيّته. ظرف قاهر! وأنتما ستعذراننا. أليس كذلك؟ .

د. هورتنسيا: اعلمْ أنني لولا الفتاة ما بقيت هنا لحظة. إنها قريبتي. ولربما كانت أدّت الدور بإتقان خلال يومين، ولا تشكّوا في ذلك!.

د. آغوستين: وكيف لنا أن نشك! والبرهان أننا لجأنا إليها، وأنا نفسي أشرت بها على هيئة الإدارة.

د. هورتنسيا: أحسنت، يا سيدي! هي تسير على خطاي. لما كان يُسند إليّ دور، كنت آكله أكلاً!.

د. آغوستين: عجباً، يا سيّدة هورتنسيا! لعلك كنت تصابين بعسر هضم يومياً.

د. هورتنسيا: لا تكن ثقيل الظل! أنت تفهمني يا سيد. لو تابعت عملي في المسرح لكنت ممثلة ضخمة. ولربما مازلت كذلك! ليتك رأيتني لما كنت أمثل! كم كنت ذات إرادة قوية!.

د. آغوستين: وما تزالين. يُلاحظ ذلك عليك جيداً...

د. هورتنسيا: أي نعم، والحمد لله! وهذا ما أقوله للفتاة: أنت ما تزالين شابة وجميلة جداً، فأبعدي عنك المتطفّلين اللجوجين وادرسي. يكفيك خرقتان من القماش حتى

تكوني أنيقة. وإليك الدليل يا سيدي: ذات يوم، ألبستها ثياباً سوداً، لا لشيء إلا مجرد حماقة دارت في رأسي، ووضعت على رأسها قبعة صغيرة حتى صارت فرجة.

د. آغوستين: وهي فرجة يجب رؤيتها دائماً. هي جميلة للغاية، والفرقة ستعتمد عليها في طوافها في المحافظات. أتذهبين معها حقاً يا تريسيتا؟.

تريسيتا: أنا أفعل ما تقوله عمتي، ماتريده عمتي.

د. هورتنسيا: سننظر في الأمر، ولِمَ لا تذهب؟ قل لي ياسيد: أتفكر إدارة المسرح في البقاء مع بيغماليون حتى حلول الصيف؟.

د. آغوستين: حتى أطول مدة تتاح لها.

د. هورتنسيا: لكن هذا الرجل ستنضب موارده خلال خمسة عشر يوماً.

د. آغوستين: لا، يا سيدتي. هو يرحل مع دمى كثيرة كلها أعاجيب وتمثل ما يربو على مائتي مسرحية بنجاح كبير وجدّة تامة. إنه أعجوبة لم يرُ مثلها قطّ، وها أنت ترين، يوجد شغل لفترة ما.

تريسيتا : أحقاً أن هذه الدمى تتكلم؟ .

د. أغوستين : خيراً مني ومنك .

د. هورتنسيا : خيراً من الممثلين غير ممكن .

د. آغوستين : ما أكثر الممثلين، ياسيدتي ! وما أكثر المؤلفين! ولشدّ ما انحطّت المهنة! انظري يا سيدتي ، إلى مترجم « اليد المعلّقة »، فهو ما يزال يخلط بين حروف الهجاء، ومع ذلك يقبض آلافاً من النقود عن حقوقه. وهذا الرجل على حماقته وسوداويته يصرخ في وجه الإدارة طالباً تعويضاً إن لم تعرض مسرحيته المذكورة فوراً، ويزعم أنه رفض أن يقدمها لمسارح شتّى وخصّ هذا المسرح وحده بها. وسوف يقف في وجه بيغماليون ودمى الدنيا كلها .

د. هورتنسيا : إذاً ، يجب أن نتحدث إلى هذا الرجل فوراً، يا تريسيتا. فليعرفْك، وليْرك، وليسند إليك الدور الدرامي الأول في العمل الذي سيُعرض في المحافظات كيما تعودي إلى هنا وقد صرت ممثلة. بالإذن منك، سيد آغرستين واعذرني .

د . آغوستين : بل أنت يجب أن تعذرينا إذْ أزعجناك دون طائل . وداعاً ياتريسيتا ، وداعاً يا جميلة ! .

تريسيتا : وداعاً دون آغوستين ! .

د . آغوستين : وحذارِ من المعجبين الملحفين كالذباب .

د . هورتنسيا : (**مندفعة**) . لا حاجة بها إلى الحذر ! أنا أكفي وأزيد حتى أطردهم . ما إن يروني حتى يولّوا فراراً دون عودة .

د . آغوستين : يلاحظ ، يا سيدة ، يلاحظ أنك امرأة قوية الشكيمة .

د . هورتنسيا : أوتشكّ في أني قوية؟ إن كنت لا تعلم ، فاسأل عني زوجي الذي هو في أمريكة . أنا ياسيد آغوستين ، لا أخشى أحداً ولو كان ملاكماً . وإذا لزم الأمر ، فأنا أجرأ من ثور وحشي .

د . آغوستين : هٰذا ما أراه يا سيدتي ، هذا ما أراه .

د . هورتنسيا : (**ممسكة بذراع تريسيتا .**) هيا يا فتاة ! هيا بسرعة قبل أن ينطلق هذا الرجل ! فليتعرّفْ عليك بيريث . فليرك .

تريسيتا : هيا، يا عمتي، هيّا!.

د. هورتنسيا : **(تدفع بنت أخيها صوب الباب)**. فلنذهب جرياً. يجب الإمساك بالمبادهة. فليتعرف عليك، وليرك، وداعاً، دون آغوستين.

تريسيتا : وداعاً، دون آغوستين.

د. آغوستين : (منحنياً). أنا بخدمتكما. أتمنّى لكما التوفيق.

د. هورتنسيا : فليتعرف عليك. وليرك، فليرك.

(تذهبان معاً. تخرج د. هورتنسيا آخراً صافقة الباب وراءها).

المشهد الخامس

د. آغوستين وحيداً. ثم يدخل البواب.

د. آغوستين : يا لهذا الإعصار! حذارِ، حذارِ من العمة! إنها عمة جداً! (يتّجه صوب منضدة صغيرة ويجلس إزاءها. يحضر ورقة ليطبع عليها على الآلة الطابعة، يُدق الباب). ادخلْ!.

البواب: (يفتح الباب مواربة، ويرفع قبعته وفي يده رزمة من الأوراق). الصور، والبرامج والإعلانات مرسلة من السيد بيغماليون!.

د. آغوستين : ضعها هنا، على المنضدة.

البواب:(يدخل وينفذ المطلوب). هنا صاحب الإعلانات.

د. آغوستين : فلينتظر!.

البواب : حسن جداً ا .

د.آغوستين : هل أتى دون أوليغاريو؟ .

البواب : لم يأتِ بعد. أتريد شيئاً يا سيد؟ .

د.آغوستين : لا أريد شيئاً.

(ينصرف البواب. يتابع د.آغوستين تنظيم الورقة على الآلة الطابعة. صمت آخر، يفتح الباب من جديد، ويدخل دون لوثيو و دون خابيير).

المشهد السادس

د. آغوستين والمتعهدان.

د. خابيير: مرحباً!.

د. لوثيو: ماذا تصنع؟.

د. آغوستين: (ناهضاً.) كنت أنوي كتابة الرسائل التي كلّفتماني بها.

د. خابيير: دعها كلها. واذهب إلى أحد الأكشاك واهتف إلى صاحب الإعلانات المضاءة. نريد بدءاً من صباح غدٍ أربع لوحات متقطّعة وأخرى مستمرة في ساحة بوير تا ديل سول، و خمساً في كواترو كاييّس، واثنتين أخريين في شارع مايور، ومثلها في شارع كريّتاس، وثلاثة أشرطة من المصابيح على واجهة المسرح وأخر مثلها في الجهة المحاذية:

د. آغوستين: لم نقم بإعـلان كـهـذا قطّ. سـتـرتفع تكاليف المشروع كثيراً.

د. خابيير: لا تهتم! بيغماليون منجم. في بوسطون وحدها أنفق مليوناً، وآخر مثله في سان فرنسيسكو.

د. آغوستين: أنتما تعرفان ما هي مدريد. على مدى خمسين ليلة، قد يشاهد الناس كلهم هذا المشهد وبكلفة مرتفعة، لا أدري إن كان...

د. لوثيو: نحن بصدد حدث عالمي وربما علمي أيضاً.

د. خابيير: شيء لم يُر مثله قطّ. لقد خلق بيغماليون الإنسان الصناعي. . اهتف بما قلته لك.

د. آغوستين: ما تشاءان، يا سيدي. لقيت بونثانو، و...

د. خابيير: نعم، نعم، نعلم ذلك، نعلمه. لا شيء جديد. فبين بونثانو وميراندا بونثانو آخر. سنعطي الأفضلية للجنس الكوميدي بما يتلاءم والذوق في المحافظات.

دون لوثيو: بونثانو وحده يصلح للأدوار الكوميدية.

د. آغوستين: هو يسيء استخدام شهرته.

د. **لوثيو:(لدون خابيير)**. سترى يا سيد، كيف سيجعلنا ميراندا مُهزَّئين في الصحافة. له أصدقاء كثيرون ويتمتع بشهرة عريضة.

د. **خابيير**: كلفني غالياً هُزْء ميراندا وشهرته. هو لا يريد غير المال، والمال فقط!

د. **لوثيو**: هنا بيت القصيد!.

د. **خابيير**: لكن، بعد أن جلبنا بيغماليون، حلّقت شهرتنا كمتعهدين عالياً جداً. (**يلتفت صوب د. آغوستين**). وأين دون أوليغاريو؟.

د. **آغوستين**: لم أره. غريب عدم حضوره حتى الآن!.

د. **لوثيو**: خاصة في يوم كهذا اليوم. هو يأخذ الأمور على مهل. اهتف بما اتفقنا عليه، واطلب آخر سعر، وليحضر أحد من محل الإعلان.

د. **آغوستين**: آه، لقد نسيت. السيدة غومث بينتادو تركت الفرقة لأنها لا توافق على عروض المحافظات. هي تريد أن تعمل عملاً حرفياً.

د. **لوثيو**: فلتتركها يا سيدي. أتمنى لها سفراً سعيداً.

د. خابيير : نعم، يا رجل، ممثلة جميلة، لكن دراميـة؟ لن نخسر شيئاً بذهابها.

د. لوثيو : وتلك نعمة من السيدة بنتادو إن أرادت احتراف حرفة بمشاركة بنتها، وافتتاح صيدلية لزوجها، وتحويل الغرفة إلى دكان لبيع الخردوات.

د. آغوستين : ثم تقضي الساعات وهي تشتغل بالكروشيه، وترفو جوارب أبنائها، حتى إنها تدعو الغسالة إلى هنا لتشرح الثياب، وابنها البكر لتراجع له دروسه.

د. خابيير: أقول لك، يا سيد ...

دون لوثيو: (لدون آغوستين). اذهب، ياسـيـد! اذهب واهتف، وساوم من أجل تخفيض السعر، وليأت أحد عمال المحل.

د. آغستين : أنا ذاهب فوراً.

(يخرج مسرعاً).

المشهد السابع

دون لوثيو و دون خابيير.

د. لوثيو: **(يجلس إزاء المكتب الأمريكي ويفتحه ويشرع في تقليب الرسائل والأوراق)**. هناك ترقب كبير.

د. **خابيير**: خاصة أن بيغماليون سخي، ووزّع أموالاً ضخمة في كل مكان.

د. لوثيو: **(وهو ينظم رزمة الأوراق)**. ليس في كل مكان. وإنما في الولايات المتحدة فقط.

د. **خابيير**: **(يجلس على كتبه ثم يقربها من المكتب)**. وزعها حيث عمل، يا رجل. هناك كانت بدايته. وصدقني، يا سيدي، من ذلك البلد، يأتينا دائماً كل تقدم كبير.

د. لوثيو: **(وهو يربط رزمة من الرسائل)**: اليوم، تتقدم العلوم بشكل «فظيع» كالأغاني عشية بعض الأعياد الاحتفالية.

د. خابيير : ما كان أحلى عشيات تلك الاحتفالات! نعم، يومئذ كان المسرح مجالاً تجارياً حقاً.

د. لوثيو : ربما ما يزال كذلك، لولا ما نعرفه جميعاً.

د. خابيير : حقاً، لذلك صممنا على أن ننتقل إلى مسرح آخر العام القادم. هذا المسرح لا يلائمنا. هو جميل جداً وبدل إيجاره ليس غالياً. وموقعه جيد. هو أفضل مسرح في مدريد. إنه درّة، لكنه لا يلائمنا.

د. لوثيو : إذا لم يحالفنا الحظ بلقاء بيغماليون، أو إذا لم يجد هذا الرجل لسبب ما، مصلحة في الطواف في ربوع إسبانيا، فسوف نخرج هذا العام بحصيلة رديئة.

د. خابيير : سنخرج صفر الأيدي. نحن بحاجة إلى مسرح حر تماماً.

د. لوثيو : بالطبع! ودون مالكٍ كالدوق الذي يفرض علينا لون المسرحيات.

د. خابيير : والمصيبة أن هذا الدوق يطلع علينابأذواق وميول فنية. ويصدع رأسنا بشهرة المسرح العريضة والفن

الدرامي وترهات أخر من هذا القبيل، عداك عن الحاشية التي تسير في ركابه، وهي عادة من السادة الصغار إضافة إلى الأرستقراطيين.

د. لوثيو: فليعملْ متعهداً، ولا يؤجر المحل.

د. خابيير: على كل حال، ينبغي لنا الصبر على الدوق الآن، لأنه قد يقرضنا قرضاً كبيراً إذا لزم الأمر.

د. لوثيو: من أجل ذلك نتحمّله. والمفاجأة ستكون حين يعلم أننا أبقينا بونثانو وتخلّينا عن ميراندا.

د. خابيير: وما علاقة هذا بذاك؟ نستطيع أن نصنع ما نشاء بفرقتنا في المحافظاتِ. ولسنا بِحاجة إلى رأي آخر في ذلك.

د. لوثيو: ونفعل ما نشاء هنا أيضاً. من أجل ذلك ندفع له أجر المسرح.

د. خابيير: طبعاً يا رجل، طبعاً! هذه تجارة مثلها مثل غيرها.

د. لوثيو: الديكور الفني يعتمد على المال.

د. خابيير: كل شيء يعتمد على المال.

د. لوثيو: (**محركاً رزمة الرسائل التي في يده.**) كل شيء! الصحة ذاتها لا تساوي شيئاً دون المال.

د. خابيير: وهذا الدوق على كثرة ثنائه على بيغماليون وإبدائه الرغبة في استقباله والانفراد به، لمّا يأتِ ليعلمنا بوصوله. ودون أوليغاريو لم يأت أيضاً.

د. لوثيو: عدم مجيء أوليغاريو لا يمكن تسويغه، فهو غير ملزم بالذهاب لاستقبال أحد. على عكس الدوق الذي يستغلّ الآن هذه الأشياء ليرفّه عن نفسه.

د. خابيير: طبعاً! وبدخلٍ يعادل مائة ألف (دورو) تُرى الأشياء بطريقة تختلف عما نراها نحن.

د. لوثيو: (**ينهض عن مقعد**). إذا طال تأخّر الدوق، فسوف نذهب لرؤية بيغماليون في فندق بالاس.

د. خابيير: (**ينهض هو الآخر أيضاً.**) هذا ما كنت أفكر فيه. سأطلب عربة.

المشهد الثامن

المذكوران والدوق الذي يدخل صاخباً ويفتح الباب بعنف. هو رجل له حضور كبير، ويضع وردة في عروة ياقة سترته.

الدوق: (يخلع قبعته، ويقلده في ذلك المتعهدان.) مساء الخير، يا سيديّ.

د. لوثيو: وأخيراً، يا سيدي الدوق، وأخيراً جئت!.

د. خابيير: كنا ذاهبين لنرى بيغماليون.

الدوق: جئت متأثراً مسروراً. منذ وصول بيغماليون هذا الصباح، وحتى هذه الساعة لم أفارقه ما خلا لحظات انفصلنا فيها عن بعضنا، كيما ينفض عن ثيابه غبار السفر. رجل نادر المثال، وأي رجل! ستلمسان ذلك، يا سيدي. إنه كاليو سترو جديد!.

د. خابيير: كال... ماذا؟.

الدوق: كاليو سترو جديد!.

د. خابيير: كاليو سترو؟ اسم لم أسمع به قطّ.

الدوق: ليس لديكما أدنى فكرة عن أي شيء.

د. خابيير: ولا حاجة بنا إلى ذلك، صدقني.

د. لوثيو: حدثنا، حدثنا يا سيد عن بيغماليون الحالي، عمّن هوموضوع اهتمامنا.

د. خابيير: متى نستطيع رؤيته؟.

الدوق: سيأتي حالما يفرغ من الإشراف على تحميل صناديقه وإخراج السيارة الشاحنة التي تقلّ دماه.

د. لوثيو: وماذا بعد؟ أهو ذكي؟.

الدوق: ذكي؟ قل هو معجزة. وحصلت على مفاجأة: إنه إسباني!.

د. خابيير: إسباني؟.

د. لوثيو: هذا سيء لنا. سيقلّ اهتمام الجمهور به، وليس من الملائم ذكر ذلك.

د. خابيير: يفضّل أن يكون فرنسياً أو ألمانياً أو سويدياً، أو كائناً من كان.

الدوق: ويتكلم الإسبانية بلكنة إنكليزية، والإنكليزية كأنه أمريكي.

د. خابيير: حسن جداً! ولا تقل عنه إنّه إسباني حتى ختام الموسم.

د. لوثيو: نعم، نعم. لهذه التفاصيل أهمية في عملنا.

د. خابيير: أهمية كبرى. أهمية كبرى، يُفضل أن يبدو بلجيكياً أو روسياً.

الدوق: من جهتي، فليكنْ صينياً. غادر البلد منذ نعومة أظفاره ساعياً وراء لقمة العيش وأنجز وحده أكبر معجزة عرفها العالم، إذ خلق المخلوق البشري الصناعي. دماه حية كما نحن أحياء. إنها أعجوبة وسوف تتيقّنون بأنفسكم.

د. خابيير: نعم، هذا مثير للاهتمام.

الدوق: ذلك أقل سوءاً أنْ جلب اهتمامكم شيء آخر غير النقود.

د. خابيير: اهتمامي به يأتي من الجانب المالي تحديداً.

د. لوثيو: بالطبع!.

د. خابيير: أنت، ياسيدي الدوق، لا تعرف شيئاً عن الحياة، لكونك غنياً.

د. لوثيو: أرأيت إحدى دمى بيغماليون؟.

الدوق: رأيت صوراً لها فقط، ومشاهد من المسرحيات في صحف أمريكية عدة. لكن الدقائق صارت ساعات وأنا أستمع إلى بيغماليون حتى أصابني بالذهول. هو فنّان حقيقي، من الفنانين القلائل الموجودين في أيامنا. فنان أصيل مدهش.

د. لوثيو: **(وقد استطال وجهه فجأة من الخوف)**. واسوأتاه!.

د. خابيير: **(بيأس صادق ومضحك، متّجهاً للجلوس على مقعد)**. إذاً، ضحك علينا!.

د. لوثيو: **(يتجه للجلوس على مقعد كبير)**. واسخرْ إن كنت تسخر، فقد عدنا بخفي حنين!.

الدوق: **(الذي ظل واقفاً ازاءهما)**. لكن، أأنتما مجنونان؟.

د. لوثيو: لا ، ياسيدي. نحن عاقلان جداً.

د. خابيير: أتعرف ياسيد، ماذا تعني : فنان؟.

الدوق: لكن، يا رجل...

د. خابيير: (**من مقعده، بلهجة غاية في الحزن**). أنا أعرف العبارات المكرورة، لسوء حظي، وأحفظها عن ظهر قلب بالتجربة. فنان تعني مجنوناً دائماً أو مأفوناً يحسب الناس كلهم حمقى ما عداه. وإذا كان هذا ذا شهرة عالمية، كما هو بيغماليون، يصبح كائناً صعب المراس. عند العرض الأول يُهرع إليه المتأدِّبون والرسامون والموسيقيون وسواهم من فارغي الوفاض الذين هم طاعون المسارح ومصيبتها، وسحابة جراد الأعمال، فيسيطر هؤلاء جميعاً على خشبة المسرح ويطوّقون المخرج ويصخبون ويبعدون الناس كلهم بأصواتهم. وبعد ثلاثة أيام، لا يقصد المسرح أحد، ولا هم أنفسهم وإن كان الحضور لا يكلفهم شيئاً، وإنما يكتفون بالثرثرة في المقاهي متحدّثين عما شاهدوه. أما نحن - المتعهدين- فندفع وندفع عالياً جداً أجور الفنان وفنه.

د. لوثيو: (**الذي يمكن شنقه بشعرة**). غالياً جداً، ويكلفنا أحياناً إغلاق المسرح ذاته.

د. **خابيير**: وهذه ثالثة الأثافي بعد الموسم الحديث مع ميراندا، وتمثيليات برمودِث.

الدوق: برمودث هو أحد اثنين أو ثلاثة من الأمجاد الوطنية الحقيقية الموجودة في البلد.

د. **لوثيو**: نعم، يا سيدي، نعم. مجد ضخم للغاية. لكننا بالمجد الوطني لا ندفع ما يترتّب علينا من أجور الممثلين.

د. **خابيير**: لا تُقبل الأمجاد عند دفع الفواتير.

د. **لوثيو**: هذا العجوز برمودث كلفني، على كبر مجده، مائة ألف بيزيته فيما مضى من هذا الموسم.

الدوق: (**يتجه صوب الصوفا حيث يجلس**). أنتما رجلان رائعان!.

المشهد التاسع

المذكورون ودون أوليغاريو. وهو رجل عجوز وعادي جداً وذو وجه محبب يدل على طيبة شخصه. ثم البواب.

د. أوليغاريو: (دافعاً الباب ورافعاً قبعته ببطء.) مساء الخير يا سادة. ظلوا مكانكم جميعاً، ولا ينهض أحد.

د. خابيير: جئت باكراً جداً!.

د. لوثيو: وتحسب أنك جئت قبل الأوان!.

الدوق: جئتَ في وقت ملائم للغاية.

د. أوليغاريو: أوصل بيغماليون؟.

د. لوثيو: نعم، يا سيد، وصل لتعاستنا.

د. أوليغاريو: (يصاب بذعر شديد ويُملأ دهشة ويمعن النظر في وجهي شريكيه). كيف لتعاستنا؟ ماذا جرى؟.

د. لوثيو: (ناهضاً وعليه مظهر الهمود ويتجه صوب دون أوليغاريو ويحدثه قريباً من أذنه). ما جرى.. ما جرى أن بيغماليون فنان.

د. أوليغاريو: (بقفزة مفاجئة). يا للمصيبة!.

د. خابيير: (من مقعده وبلهجة حزينة). على الأقل، هذا ما يؤكّده لنا السيد الدوق.

الدوق: (من الصوفا وبصوت هادر). نعم يا سيد، أؤكد ذلك!.

د. لوثيو: ها أنت تسمع، يا سيد أوليغاريو.

(يعود محزوناً إلى مقعده).

د. خابيير: (يترك مقعده بدوره ويتجه صوب دون أوليغاريو في موقف بائس). اعلمْ ذلك يا سيد، ثم احتجب ولا تأتِ، وخذ الأمور بهدوء!.

(يعود إلى مقعده بوجه غاية في الحزن).

د. أوليغاريو: يا للشيطان! (يظل وحده واقفاً وسط الغرفة، يبدو وجهه كأنما ذاب وسقط متهدّلاً. يراقبه الدوق من الصوفا مبتهجاً. يسود صمت مأساوي. يكسر

الصمت بلهجة محزونة). المصيبة حين تعلم تشيتشا التي كانت تنتظر صفقة كبيرة مع بيغماليون وتقوم برحلة لمدة ستة أشهر كاسبة مالاً!.

د. لوثيو: لكنك تستطيع أن تثير نفورها وتتخلّى عن الرحلة.

د. خابيير: من سيرحل فوراً، بيغماليون، لأنه غير مرغوب فيه.

د. أوليغاريو: ستتخلّى عني تشيتشا!.

الدوق: ذلك خير لك يا رجل. المتعة في التنويع، يا دون أوليغاريو.

د. لوثيو: تستبدلها بواحدة أخرى.

الدوق: هذا عين الصواب. مضى عليك عامان مع تشيتشا، وهذا كثير. استبدلها ياسيد.

د. أوليغاريو: هي فتاة لا يمكن الاستغناء عنها في نظري. وبقيامها بالتمثيل مع برمودث، وهو صاحب العقد الوحيد الذي أبرمناه، يظل أمر الاستغناء عنها أقل احتمالاً. هذا، إن لم يكن لبرمودث رأي في الموضوع. كلّما تلقّيت عملاً من أعماله أُصاب برعدة. وداعاً يانقودي!.

د. لوثيو: برمودث مهرج، وهو يتعثّر خلال هذا الموسم كله.

د. أوليغاريو: هو خبّ ضبّ، خب ضب!.

الدوق: كل ذلك يبعث على السرور. أنتم المتعهدون المحترفون ورجال الأعمال الوحيدون الذين يجهلون البضاعة التي يتاجرون بها. ألا وهي الفن.

د. خابيير: بحق الله، لا تُلق علينا مزيداً من الكلام عن الفن.

د. أوليغاريو: تشيتشيتا هي الفنانة الوحيدة الحقيقية بين يدي. وهي تكلّفني غالياً جداً.

الدوق: نعم، هي أغلى الفنانات جميعاً.

د. خابيير: (**مثاراً للغاية**.) دعك من النكات، بحق كل مسامير صليب المسيح. وأنا في هذه المناسبة أقل رغبة فيها.

د. أوليغاريو: ليت المركب الذي أقلّ بيغماليون غرق به وبركّابه وبكل الدمى الحمقاوات التي يحملها.

البواب: (**فاتحاً الباب**). السيد بيغماليون!.

الدوق: (**ناهضاً**.) فليتفضل، فليتفضّل فوراً!.

د. أوليـغـاريو ود. لـوثيـو، ود. خـاييـر: (بصـوت واحـد).

بيغماليون!.

(ينهضون هم أيضاً).

الدوق: فليدخل، فليدخل فوراً.

البواب: سمعاً وطاعة، ياسيدي.

(ينصرف).

المشهد العاشر

(المذكورون وبيغماليون. وهو رجل في منتصف العمر ما تزال مظاهر الشباب بادية عليه، ووجهه محلوق بعناية فائقة، وعيناه نفّاذتان وحيّتان. يلبس بدلة غامقة ويستعمل مونوكولاً كبيراً ذا حلقة من الصدف).

بيغماليون: (يدخل مسلّماً ويخلع قبعته، ويتقدم خطوات. لفتاته وإيماءاته طلْقة جداً. ويتكلم بقشتالية مألوفة تشوبها لهجة غريبة بشكل خفيف). سادتي: مساء الخير!.

الدوق: (يتجه صوبه منفعلاً). بيغماليون العظيم! أنا مدين لك بساعات لا تنسى.

بيغماليون: هذا لطف كبير منك، يا سيد. لطف كبير!.

الدوق: هاهم متعهدو الحفلات أمامك. لم يسعوا إلى استقبالك، وهذا خطأ يقع على عاتقي. فقد كنت أرغب في الانفراد برؤيتك أولاً.

بيغماليون: (**منحنياً أمام الشركاء الثلاثة**). هذا شرف كبير لي، يا سادة.

الدوق: (**يقدمهم إليه**). دون أوليغاريو أنْدرادِه، دون لوثيو إيبانييث ودون خابيير تلابيرا.

د. خابيير: (**يتجه صوب بيغماليون مادّاً يده**). كيف حالك، يا سيدي؟.

بيغماليون: (**شادّاً على يده**). جيد، جيد. وشكراً جزيلاً.

د. لوثيو: (**مقترباً أيضاً من بيغماليون ويده ممدودة بلطف صريح ومألوف جداً وشائع للغاية بين صفوف بعض الناس**). والعائلة؟.

بيغماليون: لا عائلة لي سوى دماي.

د. أوليغاريو: (**ماداً له يده أيضاً**). يسرني جداً أن أتعرف عليك، يا سيد!.

بيغماليون: وأنا أيضاً، ياسيدي.

الدوق: حزنوا حزناً شديداً مذ أعلمتهم بأنك فنان.

بيغماليون: (**بلهجة فيها لمسة من السخرية**). هذا طبيعي. فلعلهم لم يصدقوا ذلك. فقلما تجد فنانين حقيقيين.

د. لوثيو: ذلك بفضل من الله! واغفر لنا، يا سيدي، صراحتنا.

د. خابيير: الأعمال هي الأعمال.

د. أوليغاريو: وهو كذلك! إذا زاد عدد الفنانين، قلّ كثيراً عدد المتعهدين.

د. لوثيو: (**باندفاع.**) لنمض الآن إلى الأهم، متى نستطيع رؤية دماك؟.

د. خابيير: إذا تكلمنا تجارياً، كم تحسب أن تدرّ عليك دماك في مسرح كهذا المسرح.

د. أوليغاريو: (**مقاطعاً شريكه.**) كم عرضاً ناجحاً حصلت عليه منها في مسارح أخر؟.

الدوق: أصبتمونا بالصمم، يا سادة. هدوء! هدوء! من فضلكم.

بيغماليون: أنا لا أبالي، يا سادة، بالمال الذي تدرّه عليّ دماي.

د. خابيير: (يجرض بريقه). تقول إنك لاتبالي، يا سيد؟.

بيغماليون: لامبالاة مطلقة!.

(صمت. يسيطر القلقُ على المتعهدين الثلاثة الذين ينظرون إلى بعضهم بعضاً حزينين مكسوفي الوجوه).

د. لوثيو: (بصوت خفيض لدون خابيير وكأن أحشاءهما ثُقبت بمثقاب). الدوق على حق. هو فنان فعلاً!.

د. خابيير: (باللهجة ذاتها لدون لوثيو). أي، نعم. حقاً، أشباه هذه الحماقات لايستطيع النطق بها غير فنان.

د. أوليغاريو: (بسرعة وعلى انفراد لرفيقيه). انتهى أمرنا!.

بيغماليون: (ناظراً إلى الدوق بخبث وهو على دراية تامة بما يحدث). ما يهمني من دماي، كما قلت للسيد الدوق، هو الدمى ذاتها. لأن حياتها، وهي الوحيدة التي تتمتع بالحياة بين الدمى حتى يومنا هذا، أهم من حياة رجال كثيرين. وسوف تقتنعون بذلك.

د. لوثيو: لو لم تكسب مالاً، لما استطعت السفر ولاصنع دمى متُقنة، ولارعاية الإعلان ولاأن تحيا حياة أمير.

د. أوليغاريو: هذا هو الصواب، ودون مال لما استطعت أن تمتلك دمى.

الدوق: ولما استطعت أنت الاحتفاظ بتشيتشا.

بيغماليون: أستطيع أن أؤكد لكم يا سادة، أنني لما صنعت أول دمية منذ سنين بمعونة عامل ميكانيكي بسيط، كنت في أسوأ الأوضاع بؤساً. ولم يكن للمال ولا للثروة حينئذ، ولا اليوم حيث أكسب مبالغ خيالية، أية قيمة في نظري. صدقوني يا سادة، أن المال أقل الأشياء التي صنعها الإنسان، قيمة.

د. خايير: (بهدوء لدون لوثيو، ناظراً إليه كخروف حين يُذبح). إنه مجنون!

د. لوثيو: غاية الجنون! إنه فنان كبير، لاشك في ذلك! (**لبيغماليون**) باختصار، متى ستبدأ، سيد بيغماليون؟.

بيغماليون: بعد غدٍ.

د. أوليغاريو: متى نستطيع رؤية الدمى تعمل؟.

بيغماليون: ليلة غدٍ.

د. أوليغاريو: ممتاز!.

الدوق: لكن، مالنا واقفين جميعاً، فلنجلسْ!.

(يعود إلى الصوفا).

د. لوثيو: معذرة، سيد بيغماليون، لأننا لم ندعُك إلى الجلوس.

د. خابير: صرَفَنَا عنه الاهتمام الطبيعي بالعمل.

بيغماليون: أفضّل، إن سمحتم لي، أن أظل واقفاً.

د. لوثيو: كما يعجبك. أنت في منزلك لنجلس نحن.

(يتجه للجلوس مرة أخرى إزاء المكتب. دون خابير ودون أوليغاريو يجلسان على مقعديهما).

د. خابير: إذاً، بعد غدٍ دون تأجيل...

بيغماليون: أو في يوم آخر.

د. لوثيو: ماذا تعني بيوم آخر؟ نحتاج إلى معرفة الموعد بدقّة مطلقة.

بيغماليون: لاتهتموا بهذا، يا سادة، ولابالتجارة.

د. لوثيو: **(ناهضاً مذعوراً).** وكيف لانهتم..؟.

د. خابير: **(يقف أيضاً).** من سيهتم إذاً، إن لم نهتم؟.

د. أوليغاريو: (**يقلدهما**). هذه أمـور جـادة جـداً، يا سـيـد بيغماليون.

الدوق: (**متمرغاً على الصوفا**). حسـناً صنعت أن قـلت لهم ذلك.

بيغماليون: اهدؤوا يا سـادة، اهدؤوا واجلسـوا. أنا ألتـزم منذ الآن، بأن أكـون مـتـعـهداً وحـيداً، وليكن مـا يكون. وإني أستأجر المسرح منكم تاركاً لكم هامش ربح، إن شئتم.

د. لوثيو: (**مشرق الوجه، جاعلاً نفسه يسقط على المقعد**). أرأيت؟ هذا هو المهم، وهكذا تعالج قضايا العمل بوضعها على أرض صلبة.

د. خابيير: (**يجلس مرة أخرى، راضياً أيضاً**). إذاً، تستطيع البدء متى شئت.

د. أوليغاريو: (**يجلس برضى مماثل أيضاً**). قبل إقرار أي شيء، يجب التفكير فيه قليلاً.

الدوق: إذا استأجرت المسرح من هؤلاء السادة، أحبّ أن أكون شريكاً لك في الاستثمار.

بيغماليون: كما تشاء يا سيدي. المنفعة لاتهمني أبداً، والمال

شيء سخيف جداً حتى تستطيع بعض الدمى أن تكسبه بسهولة بالغة. وكم من رجالٍ أقل ذكاء من دماي حصلوا على ثروات كبيرة! ما يحصل عليه الحمقى والدمى بهذه السهولة الضخمة، لايمكن أن يكون له وزن كبير.

د. لوثيو: لكن، أدرّت عليك دماك مبالغ ضخمة؟.

بيغماليون: في المرات القليلة التي طفت بها أنحاء العالم، جعلتني مرات عدة مليونيراً.

د. لوثيو: (**وقد شخصت عيناه جداً، وأفلتت منه دون أن يدري الكلمة**). خينوخو!.

د. خابيير: لكن، أيوجد شيء خاص تمتاز به هذه الدمى؟.

د. أوليغاريو: إنا وإن كنا سنراها، فلابأس عليك لو شرحت لنا عنها الآن...

الدوق: نعم، سيد بيغماليون، حدثهم عنها.

بيغماليون: بسرور كبير، وهو ما أؤثر الحديث عنه. أعجب ما يعجبني في الدنيا دماي. فقد أبدعتها وسط الأشواق والحمّى. وها هي اليوم تحيا وتثير الدهشة كأنها

أعجوبة مجهولة حتى هذه اللحظة. هي تمتلكني، تمتلك خالقها. وبدلاً من أن أكون سيد دماي تحولّتُ وصرت عبدها.

د. خابير: كيف تربط حبال هذه الدمى؟.

بيغماليون: دماي لها مثلنا حبال حياة دائمة مستمرة إلى أن تتلاشى تماماً.

د. لوثيو: وكيف ذلك؟ ألاتتعرض دماك للخلل؟.

بيغماليون: يصيبها الخلل مثلما نقع نحن فريسة المرض، فأقوم بإصلاحها. لكن، إذا كان الوضع خطيراً، فلا بد من تحطيمها أو صنع دمية أخرى. هي لها نهاية كما الكائنات الحية.

د. أوليغاريو: شيء لايُصدّق!.

بيغماليون: تمكّنت من بثّ الحياة فيها حتى أُضْطر إلى إخضاعها والقيام على حراستها وسياستها جيداً. يساورني الشك أحياناً في أنها تخرج من صناديقها حين تكون وحيدة، ساعية إلى حبك الدسائس وراء ظهري، والقيام بأعمال شيطانية. وفوق ذلك، هي تبغضني، خاصة بومبونينا

التي أنشأتها غاية في الجمال، مثل أميرة من أميرات الحكايات، وجعلتها خفيفة وعابثة كأنها وهم. هي ليست بذات شأن، لكنها ملكت عليّ حياتي. لقد عشقت بومبونينا كما عشق أمير قبرص الذي أتسمّى باسمه، التمثال الذي نحته بيديه. من المحال تخيّل شيء أجمل ولا أسرع عطباً منها.

د. أوليغاريو: مثل صديقتي تشيتشيتا.

يغماليون: وصديقتك تشيتشيتا، أهي فتاة؟.

د. أوليغاريو: (متنهّداً). آي، لا، يا سيدي! بل هي امرأة ذات بوادر، صدقني ذات بوادر.

الدوق: أحقاً يا سيد أوليغاريو أنها مولعة بكل ما هو شاذّ غريب؟.

يغماليون: لا صديقتك تشيتشيتا ولا أية امرأة أخرى تمكن مقارنتها ببومبونينا. فقد انتقيت وجمعت من أجل بنائها أدقّ الأشكال التي تخيّلها البشر. كانت سحراً خالصاً حتى تبدو أية امرأة إلى جانبها شيئاً فظاً غليظاً.

د. أوليغاريو: عجباً! عجباً!.

الدوق: ينبغي لنا مشاهدة بومبونينا فوراً.

د. لوثيو: وسوف نتحقق إن كنت أنت ودماك من هذه الأنماط الفجّة، واعذرني لهذه العبارة.

بيغماليون: أنت ستحكمون بأنفسكم. يتبعني جمع غفير من المغرمين ببومبونينا غرامي بها. هذه الحاشية من الغرباء التي تسعى إثر دماي في أسفاري هي جد كبيرة حتى تملأ وحدها هذا المسرح وكل المسارح حيثما يممت وجهي، ولاتسعها كلها. أنا إذاً، أجلب بنفسي ودون إرادة مني، الجمهور المسرحي إلى متعهدي أعمالي في كل أنحاء أوربا.

د. لوثيو: خينوخو!.

د. خابير: النتيجة، كان من الواجب أن تبدأ أعمالك.

د. أوليغاريو: بامتلاء المسارح يمكنك أن تكون إذاً، ما تشاء ولو فناناً.

بيغماليون: أنا لاأستطيع التوسل إلى فينوس كما فعل بيغماليون الحقيقي، لكي تبثّ الحياة في بومبونينا كما بثّتها في التمثال الشهير، لأن دماي وكل الحاشية كائنات حية متحركة، وتبدو أشخاصاً حقيقيين، إذا لم تكن بصحبتي.

د. لوثيو: وماذا تمثل دماك، يا سيد؟ .

بيغماليون: فارْسات مضحكة في أغلب الأحيان .

د. لوثيو: (**متحمساً**) مضحكة؟ أهي مضحكة حقاً؟ .

د. خابيير: مضحكة حقاً؟ .

بيغماليون: مضحكة غاية الضحك .

د. أوليغاريو: ستشرق علينا الشمس مرة أخرى .

د. خابيير: لأن الكوميديا تجلب المال .

د. أوليغاريو: بالطبع! يقصد الناس المسرح للترفيه عن النفس، وليس للبكاء .

الدوق: منذ دروجي على وجه الأرض وأنا أسمع هذه الجملة يرددها هؤلاء الحمقى الذين تراهم هنا .

د. أوليغاريو: لايسوؤني إن دعوتني أحمق .

بيغماليون: معظم دماي أفظاظ . هي نماذج شعبية إسبانية . أحدها خَطِر راح ينمو بين أصابعي حين كنت أصنعه . لكن بومبونينا على وجه خاص، والدمى الأخرى في حاشيتها هي النموذج الأكمل للجمال النسائي والأرضي .

د. لوثيو: ويصحبك موكب من الحريم أيضاً! .

بيغماليون: مع ميزة بأنني لست مضطراً إلى رعايته .

د. خابيير: على العكس من ذلك ، حريمك هو الذي يرعاك .

د. أوليغاريو: عجباً لهذا المخرج ، ولمرافقيه! .

بيغماليون: مرافقيّ يسببون لي حزناً شديداً . أنا مغرم حتى الجنون بإحدى الدمى كما هو حال رجال كثيرين ، سوى أنهم لايعلمون أنهم مغرمون بدمية . أما أنا فأعلم .

د. خابيير: لو لم نكن نعلم من أنت ، لحسبناك مجنوناً .

بيغماليون: أنا في سبيلي لأصبح مجنوناً . فالله يعاقبني لأنني أردت التدخل في عمله . أنا أحب بومبونينا حتى العبادة ، وهي موضع حسد كثير من الدمى .

الدوق: متى نرى بومبونينا هذه؟ .

بيغماليون: لسوء الحظ ، ستراها عما قليل . فما إن تراها حتى ينقلب إعجابك بي إلى بغض .

الدوق: معاذ الله ، يا بيغماليون! .

بيغماليون: أنت تعلم حقاً كيف صنعت دماي .

د. لوثيو: قُصَّ علينا كيف صنعتها، يا رجل، . .

الدوق: نعم، قص عليهم ذلك، فهو هام للغاية. سترون يا سادة. . .

د. خابيير: كلنا آذان مصغية.

(يستمعون إليه منصتين.)

بيغماليون: في صغري رأيت بالمصادفة ضمن مجموعة خاصة بأحد أثرياء الإنكليز المقيمين في مدريد، بعضَ الدمى المصنوعة من القش؛ وكانت دمى عجيبة من صنع بوكانسون وخوانيلو ساعاتي كارلوس الخامس المشهور. هذه الدمى كانت تتحرك وتسير بيسر، فتركت فيّ أثراً عميقاً. ثم أتيح لي أن أشاهد دمى يابانية وصينية وأقنعة صغيرة عجيبة، ودميتين من صنع "لافيّت دوسا، كانتا نسخة طبق الأصل من المرأة، وكأن قدري شاء أن يضع ذلك كله في طريقي. ثم غادرت إسبانيا إلى نورمبروغ فردوس الطفولة حيث تُصنع أنواع شتى من الدمى. وهناك أبديت اهتماماً بصنع الدمى. لكني، لما رأيت ذات يوم في أحد المتاحف، أقنعة لديورو وأخر ملوّنة لبيرّو فتحات أنوفها عريضة

منبسطة، ورأيت أقنعة يابانية من البرونز ومن الخشب المدهون باللكّ، وأقنعة أخر تُستخدم في التمثيليات الإيطالية بعضها من الشمع الملون، وأخر من الحرير، وبعضها من نسيج شفاف يُبسط فوق خيوط معدنية دقيقة، وأقنعة من البندقية ذات قسمات غامضة؛ باختصار، خلاصة حقيقية من الأقنعة الصارخة المتنافرة، وعالم من التكشيرات والتشويه الفني العبقري . . . ، أقول لما رأيت ذلك كله، نشأت لديّ فكرة خلق الممثل الصناعي المثالي الخالي من الغرور ومن التمرّد والخاضع لإرادة الشاعر المبدع، كالكتلة بين أيدي النحاتين.

الدوق: حدثٌ لعمرك رائع قد يغيّر مسار المسرح تغييراً كاملاً.

بيغماليون: وبعد قراءة موسوعة إيدنبورغ ذهبت بعيداً في مشروعي، وساورتني الرغبة في أن أتجاوز الدمى الميكانيكية، إلى دمى مخلوقات من الطين الحساس والمعقد أشبه بالطينة البشرية.

الدوق: (يمعن في النظر إلى بيغماليون وعيناه تتابعان كلماته). ما أجرأ هذه الفكرة!.

بيغماليون: خطرت لكثيرين غيري. ولكني أنجزتها وحدي، وأفكر في أن أتجاوزها إلى خلق شيء خير من الإنسان.

الدوق: ممتاز!.

بيغماليون: يشجعني على ذلك نتائج محاولتي الأولى. دماي تتمتع بشرايين تجري داخلها، وبأعصاب وأوعية وحتى بسائل يقوم مقام الدم. (**المتعهدون الثلاثة يظلون ساكنين مغتبطين يداعبهم سبات وشيك**). ومكثت سنين إثر سنين أرسم خطتي متحرياً الجثث بعينين شرهتين، فبحثت تحقيقاً لهدفي، عن خير المواد المركبة وأكثرها حيوية، وبعضها نادر للغاية وما يزال مجهولاً، وشرعت أخلق دماي. كلها تحتوي على الراديوم وصفائح ممغنطة من فولاذ خاص مزجتُها ولحمتها مع بعضها. (**المتعهدون في بداية نومهم، ويهوّمون تهويمات خفيفة**). تحتوي كلها على شبكة معقدة جداً من الألياف المنسوجة والمحضرة خلال أعوام من البحث والقلق، ولها أفئدة حية قابلة للانقباض، وحقيقية منزوعة من صدور الحيوانات وموضوعة بشكل...

(يُسمع شخير دون أوليغاريو القوي وقد غرق في النوم).

بيغماليون: (ينظر إلى المتعهدين ويقطع حديثه مؤقتاً ويقول الدوق خافضاً صوته). لقد ناموا!.

الدوق: (ينهض ويتجه على أطراف أصابع قدميه صوب بيغماليون ويقول له بهدوء.) هسّ! تعال يا سيدي معي. ستتابع سرد القصة عليّ خارج الغرفة. أنا جدّ معنيّ بما تقول حتى يسبّب لي ذلك حمّى.

بيغماليون: وأنا أعاني منذ أعوام من الحمى ودون انقطاع.

(يسمع الشخير الجاف المختلط مع بعضه، الذي يطلقه المتعهدون الثلاثة الراقدون في نوم عميق، والمهوّمون تهويمات مخيفة وكأنهم يتنافسون فيمن يهوّم خيراً وأسرع من غيره).

الدوق: (يظل يتحدث بصوت خفيض). ها أنت ترى، يا سيدي. فما إن تجسدت دماك بشراً، وقلت لهم شيئاً ذا أهمية حقيقية حتى ناموا.

بيغماليون: (بصوت مكتوم أيضاً). هذا طبيعي!.

الدوق: لايشغلهم شيء من الدنيا ولا من عمل الكون بكامله، سوى كتاب صندوق المال، والبيزيتات وشباك التذاكر.

بيغماليون: وبماذا تريد أن يشغلوا أنفسهم؟ هم من شباك التذاكر يعيشون، وهم كدماي الحالية. وكل إناء ينضح بما فيه. ولايمكن لإنسان أن يكون أكثر مما هو مخلوق له.

الدوق: **(يمسك بيغماليون من ذراعه ويقوده ببطء حتى الباب، ويسير بحذر كيلا يثير أدنى ضوضاء).**
ستوافقني أن هؤلاء أجلاف جداً.

بيغماليون: **(يسلّم له)**. هم ضمن دائرة أدوارهم. في كل الأنحاء ما عدا استثناءات نادرة، وجدت أشباه زملائك.

الدوق: أهم أجلاف أفظاظ كهؤلاء؟.

بيغماليون: بل أكثر منهم. وكل مهنة لها شؤمها.

الفصل الأول

في قاع المسرح وعلى جانبيه ستائر غامقة الألوان تتدلّى بطيّات عريضة. في السقف ستارة ذات طيات أيضاً ومن اللون ذاته. لصق ستائر وسط الجانب الخلفي أو القاع، تسعة صناديق عالية الارتفاع ملوّنة بلون كريم فاتح، وكبيرة بما يكفي لتَسَعَ دمية بقامة إنسان متوسط الحجم. على كلا الجانبين، وقريباً من الستائر أيضاً، أربعة صناديق أخر شبيهة بالأولى. كل هذه الصناديق مصونة صيانة جيدة حتى تبدو جديدة وذات بروز وسط قتامة الستائر، وفي وسط الغطاء (الذي يشبه باباً قابلاً للفتح والإغلاق) وفي مكان بارز جداً منه كتابتان بأجرف كبيرة، يمكن أن تُقرأ بسهولة. الكتابة العليا تقول: « انتبه! سريع العطب!». وفي مكان أدنى، أي في وسط الصندوق تقريباً، كُتب اسم الدمية التي تشغل الصندوق. على صندوق

بومبونينا، بدلاً من « انتبه» كُتب «انتبه جيداً!»، وبدلاً من «سريع العطب!»، «سريع العطب جداً!». الصناديق مرتّبة على الشكل التالي: في وسط القاع، صندوق بومبونينا. على يمين هذا الصندوق، صناديق لوثيندا، ومَرِينولدا، ودون ليندو، وبيريكيتو إنترِئياس. على يسار صندوق بومبونينا، صناديق كورينا، ودوندنيلا، وبرناردو ذي السيف، وآمبروسيوذي البندقية. على الجانب الأيمن، وفي البعد الأول منه صندوق «خوان الأبله» تليه صناديق: النقيب آرانيا، برُوغرويّو، ومينغو ريبولغو. على الجانب الأيسر، وفي البعد الأول منه صندوق بِدْرو أوردِمَالاس تليه صناديق إينانوديلابنتا، والعم باكو ولوكاس غومِث. إضاءة ضعيفة تضيء الصناديق والستائر. وحدة مطلقة.

المشهد الأول

المتعهدون الثلاثة الذين يدخلون من الجانب الأيسر ومن أقصى البعد الأول منه على حدّ الستار الأمامي. يلبسون معاطف ويعتمرون بقبّعات. ثم يدخل بعدهم البواب.

دون لوثيو: لم يصل بيغماليون بعد.

د. خابيير: ولاالدوق.

د. أوليغاريو: هما دقيقان في مواعيدهما. لن يتأخرا.

د. لوثيو: (يسير القهقرى حتى يصبح قرب المصابيح ليرى الانطباع الذي تتركه فيه الصناديق التي تبرز وسط قتامة الستائر). ديكور ولاأبسط!.

د. خابيير: (مقلّداً دون لوثيو). نعم، هوبسيط جداً.

د. أوليغاريو: (يتجه للانضمام إلى رفيقيه متأمّلاً معهما

الصناديق والستائر). هذه عادة بيغماليون في أن يقتصر ديكور مسرحياته على الستائر فقط، ولايخلو ذلك من فائدة اقتصادية.

د. لوثيو: لكن الديكور الخاص بالدمى يختلف عن الديكور الخاص بالممثلين الحقيقيين.

د. خاييير: أما بيغماليون فيقول إن دماه تتفوّق في تمثيل مسرحياته على كل ممثلي الدنيا.

د. أوليغاريو: حسن! هذا ما يزعمه بيغماليون.

د. لوثيو: أوكما يقول المثل: سوف يأتي العم باكو بالغنيمة[1]، و«يشيل الزير من البير.».

د. خاييير: (مشيراً إلى الصناديق). لابد من أن يكون العم باكو هنا.

د. لوثيو: (يقرأ). نعم. «انتبه! سريع العطب!»، «العم باكو.» (يتجه صوب صندوق الدمية المذكورة ويتبعه رفيقاه. يتحرّى الصندوق ويلمسه ويدقّ عليه دقات خفيفة). كيف حالك، عم باكو؟.

---

(١) مثل يعني أن الشيء المأمول وهم ووعود.

د. خابيير: انتبه إن كان يجيبك.

د. أوليغاريو: يا خوفي!.

د. خابيير: أرغب في رؤية هذه الدمى.

د. لوثيو: وأنا أيضاً. هي شيء شيطاني كما أرى.

(يُسمع صرير نافر).

د. أوليغاريو: **(مطلقاً شهقة)**. ألا تسمعان؟.

د. خابيير: نعم، تسمع ضوضاء في هذا الصندوق.

(مشيراً إلى صندوق لوكاس غومِث لصق صندوق العم باكو، ويضع أذنه عليه. رفيقاه الآخران ينصتان أيضاً. سكون).

د. لوثيو: لعل أحد النوابض أو البراغي قد استرخى.

د. أوليغاريو: **(يحاول فتح الصندوق ويرجّه)**. لاشيء! لا أسمع شيئاً.

د. خابيير: **(يوقف دون أوليغاريو)**. احذر! ماذا تصنع يا رجل؟ دعك من هذا!.

د. **لوثيو**: قد تُتلف الدمية، فلايبدأ العرض غداً، ويترتّب علينا إعادة المبالغ المحصّلة من بيع بطاقات المسرح كاملة عن عشرة أيام.

ذ. **خابيير**: وبذلك تمتلئ جيوبنا!.

أوليغاريو: لا تقولا شيئاً لبيغماليون، خاصة أنه حذّرنا من أن نمسّ الصناديق.

د. **خابيير**: وماذا نقول له، يا رجل؟

د. **أوليغاريو**: **(ناظراً إلى أحد الصناديق من خلال نقاط الوصل)**. كل ما فيها يثير الريبة.

البواب: **(يدخل من حيث دخل المتعهدون، وقبعته في يده)**. تلفن دون آغوستين بأن الفرقة خرجت إلى بلنسية. وإذا كنتم لستم بحاجة إليه، فلن يحضر هذه الليلة، لأنه مزكوم قليلاً.

د. **خابيير**: حسن ألا يأتي هذه الليلة.

د. **أوليغاريو**: غطِّ رأسك يا غارثيا. غطِّه بالقبعة.

(يطيع البواب).

د. لوثيو: هل المحاسب فوق؟ .

البواب: نعم، يا سيدي. كل جهاز المحاسبة موجود. أتريد شيئاً.

د. لوثيو: لاأريد شيئاً. سأصعد فورا.

البواب: حسن جداً! (**ينصرف. ثم يعود على عقبيه**). آه، نسيت! قال السيد بيغماليون: إذا سمعتم ضوضاء داخل الصناديق، فلا ينشغلْ بالكم. (**مشدّداً جداً على المقاطع**). لأن الآلة المعقّدة جداً داخلها، تصر عند أدنى تغيير في درجات الحرارة، أو أخفّ اهتزاز في الأرض.

د. خابيير: العمى، يا غارثيا! مذ أخذتَ تستمع إلى تمثيليات بِرْمودِث كل ليلة، صرت فصيحاً ولا الخطيب كاستلار.

البواب: كل شيء يعدي، يا سيدي دون خابيير. لكنْ، لتعلّم الكلام الحسن، أنا بانتظار بيغماليون. رجل أي رجل!.

د. خابيير: لابأس عليك، يا غارثيا، لابأس! هاتِ بعض الكراسي.

البواب: قال بيغماليون إنه لايريد أي غرض ولوكان مقعداً على خشبة المسرح .

د. خابيير: آه! إذا قال بيغماليون ذلك، فلاتأتنا بشيء آخر . بيغماليون يأمر .

(**ينصرف البواب**) .

د. أوليغاريو: (**يخرج ساعته**) . إنها العاشرة والنصف . لشد ما تأخرا! .

د. خابيير: نادر جداً أن . . .

المشهد الثاني

المتعهدون، والدوق وبيغماليون داخلّين من الجانب الأيسر والحدّ الأول.

الدوق: (**يحيي بمرح عند دخوله**). مساء الخير!.

بيغماليون: مرحباً، يا سادة.

د. لوثيو: (**يتجه صوبهما بعجلة**). لماذا تأخرتما كثيراً؟.

(**مصافحات متبادلة**).

د. أوليغاريو: شعرنا بالضجر، خاصة أنك تحظر دخول أحدٍ المسرحَ ليلاً، ولو كان عائلاتنا.

بيغماليون: بوجود عائلاتكم تزدادون ضجراً. من عادتي أن أُمَكِّن المتعهدين من مشاهدة دماي مسبقاً.

د. خابير: سنتحقّق إن كنا سنراها أخيراً.

د. لوثيو: نحن في حالة توتّر عصبي رهيب منذ وصولك البلد.

الدوق: نفاد الصبر يقتلنا.

بيغماليون: لابأس عليكم. ستشبعون فضولكم فوراً.

د. أوليغاريو: شكراً لله!.

بيغماليون: سأريكم أولاً، الدمى الذكور، ثم الإناث منها. مجرد تقديم بسيط فقط. حتى يوم العرض، لن تشاهدوها تعمل في الهزليات الثلاث الأول من إبداعي والمعلن عنها في اللوحة من أجل الغد.

د. خابير: ألاتستطيع أن تستبق لنا مشهداً جماعياً صغيراً، مثلاً؟.

بيغماليون: لا، يا سيدي.

د. خابير: ولِمَ؟.

بيغماليون: أولاً، هذه الصناديق تعيق تمثيل الهزلية. وإذْ سيكون المشهد دون حضور الجمهور، فلاموجب لأن نتعب أيدينا في إزاحتها الآن. ثم لابّد من مشاهدة دماي

من مسافة بعيدة حين تعمل، والنظر إليها بعيني طفل، وهي خير طريقة لمشاهدة الفن. وفوق ذلك، هي مُتْعَبَة جداً محتبسةً داخل صناديقها خلال السفر، ومن الملائم تركها تأخذ قسطاً أكبر من الراحة.

د. لوثيو: يا رجل! أو تتعب كالبشر؟.

بيغماليون: تعاني ذات التعب. وسبق لي أنْ قلت لكم إنّ هذه الدمى هي أكثر من مجرد أعجوبة ميكانيكية. هي تمثل المخلوق الصناعي، والخطوة الأكثر جداً التي خطاها البشر لخلق النماذج الأول من إنسانية المستقبل دون عيوب الإنسانية الحالية

د. أوليغاريو: عجيب!.

د. خابيير: أو تأكل أيضاً؟.

بيغماليون: نعم، تأكل طعاماً خاصاً بها. تأكل عطوراً وزيوتاً ودهوناً.

د. لوثيو: تأكل لقاء تعبها.

الدوق: وأجسامها. كيف هي أجسامها؟.

بيغماليون: مثل أجسامنا، ومطابقة لها عريانة. وما تزال تشبه

البشر، ولذلك تثير فيّ نفوراً كبيراً. لكني سأستغني عنها ذات يوم، لأني أكون تجاوزتها.

الدوق: أنت بروميثيوس جديد.

بيغماليون: بالضبط. وربما عاقبتني الآلهة ذات يوم كما عاقبت بروميثيوس نفسه.

د. لوثيو: **(لاطماً دون خابيير بمرفقه).** ها هما يستعرضان أسماء المشاهير!.

د. خابيير: وأي أسماء!.

بيغماليون: لو لم أصنع هذه الدمى للتجربة، لربما مااستطعت صنع خير منها في المستقبل.

الدوق: دعنا نَرَها مرة واحدة.

بيغماليون: **(يتجه صوب الصندوق الموجود في الحد الأول من الجانب الأيمن. يتبعه الدوق والمتعهدون).** فوراً. وإذْ وُلدت في إسبانيا، فقد بحثت لهزلياتي كما قلت لكم، عن نماذج شعبية من هذه الأرض مماثلة لغيرها في كل البلدان سأريكم أبسطها أولاً. **(يخرج مفتاحاً صغيراً من جيبه.)** لنبدأ بالأبله!.

الدوق: (**يقرأ الكتابة على الصندوق**). خوان الأبله! .

بيغماليون: نعم، وهو أحمق خبيث، خبيث جداً مثل كل الحمقى الموجودين هنا .

الدوق: حقاً، الحمقى في العادة خبثاء وسيئو التفكير .

بيغماليون: الحماقة تكاد لاتعرف النبل أبداً. لأن الحماقة والمسكنة أخوان .

(**يدخل المفتاح في صندوق خوان الأبله، ويديره دورتين. يُسمع في كل دورة صرير حاد، وضوضاء**).

الدوق: ألاترون أني منفعل؟ .

د. خايير: أنا خائف .

د. أوليغاريو: وأنا أيضاً .

د. لوثيو: هذه الأجهزة تثير الخوف .

بيغماليون: كنت، من قبل، أصدر الأوامر لدماي بواسطة السيلوستيك، ودون كلام . لكن بعض الأغبياء كان

يبدي مقاومة أثناء التمثيل، فملت بعدئذ إلى الكلام.
وأنا أقوم بنفسي بالتلقين. تنحّوا إلى الخلف قليلاً
ياسادة. (**يطيعون جميعاً.**) يا الله! (**يخرج المفتاح من
الصندوق**). هو نفسه سيفتح الباب. اخرج،
ياخوان!.

(**يقف الدوق والمتعهدون مترقبين. خوان لايخرج**).

المشـهـد الثالث

بيغماليون والدوق والمتعهدون والدمى التي تأخذ بالظهور بالترتيب.

بيغماليون: (بلهجة صارمة). مالك! افعلْ ما أمرتك به! اخرج!.

(تسمع قرقعة خفيفة كأنها صادرة عن علبة آلة موسيقية ثم يُفتح الباب بسرعة فيما يشبه ارتطام نوابض وحدائد، ويظهر خوان الأبله الذي يخطو خطوتين صوب بيغماليون).

خوان: كو، كو.

(يبدو في زي ممثّل كوميدي تقليدي في مسرح بدائي رديء، مرتدياً قبعة صغيرة مضحكة، وقد صُبغت وجنتاه وأرنبة أنفه بلون أحمر. حاجباه كريها

الشكل، وشعره مُسدل وفمه مدبب وشديد الحمرة، ووجهه حليق على شكل كاريكاتوري وسترته غريبة الطراز، وبنطاله متعدد الألوان وذو مربعات؛ ويحمل عصاً كبيرة ثقيلة خاصة بالمهرجين. يراقبه الدوق والمتعهدون باهتمام كبير).

بيغمالون: مساء الخير، يا خوان. سلّم على هؤلاء السادة.

خوان: (بوجه جاد وهادئ على شكل غبي). كو، كو.

بيغماليون: هذا أقل الدمى تعقيداً. لايتكلم شيئاً وإنما ينطق بما سمعتموهُ. اكتفيت في صنعه بتقليد ساعة كوكو بسيطة. تعالوا نرَ الدمى الأخر.

خوان: (يتأرجح ويفتح عينيه ويغمضهما محدثاً بعض التقطيبات). كو، كو.

بيغماليون: لابأس عليك. اسكت الان.

خوان: كو، كو.

بيغماليون: (يتجه صوبه ويأمره). اسكت. قلت لك!.

خوان: كو، كو.

بيغماليون: (يشدّه من أذنه). سأجلدك. هيا اسكت.

(ينكمش خوان بأنّة معدنية حادة. ثم يقف متيبّساً، ساكناً ومضحكاً حقاً. يوليه بيغماليون ظهره ويتجه صوب الدوق. يدلع خوان لسانَه ويحركه مستهزئاً به).

الدوق: (متأملاً الدمية.) أعجوبة، يخرج لسانه كأنه رجل.

د. خابيير: هو هبنّقة ذاته!.

بيغماليون: ليس هبنّقة، بل هو خوان الأبله ولاشيء آخر.

د. لوثيو: يجيد التقليد أيّما إجادة!.

د. أوليغاريو: وهو نظيف جداً.

بيغماليون: **(مولياً ظهره الدمية وناظراً إلى وجوه الرجال الأربعة ليرى الانطباع الذي تركه فيهم).** هذه الدمية شيء لايُعتدّ به حقاً. والآن سترون.

(مزيد من الغمزات الساخرة التي يقوم بها خوان الذي يكثر من إخراج لسانه وراء ظهر بيغماليون).

الدوق: **(ناظراً إلى المتعهدين كيف يقفون مدهوشين من الدمية).** عجيب كيف يتلاعب بعضلات وجهه!.

د. لوثيو: عجب عجيب!.

بيغماليون: لكن، ماذا... ماذا يجري؟ (**يلتفت فجأة ويفاجئ الأبله وهو يسخر منه**). آه منك، يا خبيث!.

(**يشده من أذنيه مرة أخرى ويسمع صرير معدني جديد**).

الدوق: أنت تتصنّع الغضب بإتقان.

د. أوليغاريو: وكل شيء مرتّب بتواطؤ متقن للغاية.

بيغماليون: كيف يكون مرتباً؟ أنا لا أتواطؤ مع دماي. وهذا المغفّل يسخر مني خلاف إرادتي.

الدوق: أنت ممثل إيمائي كبير، يا بيغماليون!.

د. خابيير: وتجيد الخداع على شكل بارع.

بيغماليون: أؤكد لكم يا سادة، أنني صريح، ولا يوجد هذا الشكل من الخداع. (للأبله.) إذا لم تهدأ أو تكفّ عن السخرية مني، فسوف ألجأ إلى قضيب الزيتون.

خوان: (**ينتابه ذعر مفاجئ، وتتسع عيناه من الخوف ويردّد بعجلة كبيرة**). كو، كو، كو، كو، كو، كو.

بيغماليون: أنت تعلم ماأعنيه، ولن أكرّر عليك القول. انتهينا من كو، كو.

(يصبح خوان عابس الوجه جداً، ومضحكاً برصانته).

الدوق: محال أن تُمنح دميةٌ حياةً كما منحت هذه! .

د. لوثيو: كل ذلك محبوك بعناية بالغة.

بيغماليون: مرة أخرى! أؤكد لكم يا سادة أن ما يجري خارج البرنامج، وليس تمثيلاً وإنما هو واقع. دماي تبغضني وتدفع بي إلى الغضب ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً، مما يضطرني إلى معاقبتها وإيقافها كيلا تتجاوز حدودها.

د. لوثيو: يو-هو- هو! سيد بيغماليون، كفاك سخرية منا! .

بيغماليون: **(يهز كتفيه هازئاً).** حسن! آمنوا بما يعجبكم. دعونا من ذلك الان كله. **(يلقي نظره على خوان).** كما قلت لك. مفهوم؟ لنرَ الدمى الأخر.

(يدخل المفتاح الصغير في صندوق مجاور لصندوق خوان الأبله. تسمع الأصوات الحادة، والضوضاء المنفرة ذاتها حين يدير المفتاح في القفل).

الدوق: (يقرأ الكتابة على الصندوق بصوت عالٍ).
النقيب آرانيا!.

د. خابيير: دعونا نر كيف هذه الدمية أيضاً.

بيغماليون: (واقفاً أمام الصندوق). هذه الدمية تتكلم كما يتكلم الاخرون، وقد يصعب عليكم التصديق أنها دمى. (يبعد بإيماءة منه الدوق والمتعهدين الذين يتراجعون قليلاً). السيد النقيب، اخرج من فضلك!.

(يُفتح باب الصندوق ويظهر النقيب آرانيا مع ذات الصوت المعدني للنوابض والحدائد الذي ظهر به خوان الأبله. ثم يخرج ويتقدّم بضع خطوات. يبدو رجلاً في الخمسين من عمره، له مظهر كاريكاتوري للغاية، ويلبس زياً قبيحاً خاصاً بميليشيا خيالية. يحيط بكل ردن من كمّيه ثلاثة أشرطة عريضة، عليها ثلاثة نجوم ضخمة جداً أو بارزة للعيان. يحمل سيفاً محدّب الطرف معلقاً بخصره، ويلبس حذاء بنصف عنق وتتدلّى من لحيته خصلة طويلة رمادية، وفوق اللحية ينبسط شاربان ضخمان رماديان أيضاً ومخيفان وطويلان ومفتولان وينتهيان بطرفين حادّين جداً كخصلة الشعر المتدلّية).

النقيب: (يقف باستعداد ويحيّي بيغماليون تحية عسكرية).
حاضر! (يسبل يده ويتجه صوب الدوق ورفاقه.)
مساء الخير، يا سادة! (يظل متخشباً وساكناً مثل خوان الأبله).

د. لوثيو: أعاجيب!.

د. أوليغاريو: وهو يتكلم مثلما نتكلم. (يصل حدّ النقيب ويتأمله عن كثب). يبدو كذباً أن هذا الضابط دمية!.

بيغماليون: ها أنتم لبثتم فترة طويلة تختبرون دماي وتتحققون من صحتها. إذا حان الوقت الملائم فسوف تتمكنون من فحصها عن قرب. والآن، لاتسبّبوا لها الضيق ولاتقتربوا منها كثيراً لأن البعض منها ذو طبع شكِس وقد تتلقّون منه نطحة ما.

د. أوليغاريو: (يهرع مبتعداً عن الدمية). اللعنة! كل شيء ولاالنطح!.

بيغماليون: والآن، يا سادة، سترون الجنس الخشن كله مرة واحدة.

(يدخل المفتاح الصغير في كل أبواب صناديق الدمى

دون أن يفتح باباً منها. صرير معدني منفّر كلما دار المفتاح. ينظر الدوق والمتعهدون بدهشة تارة إلي الصناديق، وتارة إلى بيغماليون، وتارة أخرى إلى الدميتين اللتين ظلتا ساكتين ولما فرغ من إدخال المفتاح في آخر صندوق من صناديق دمى الجنس الخشن).

سادتي، لن أذكر لكم خير الأشكال الجامدة في متحف آغرفِن المشهور التي صنعها أرباب هذا الفن من الشمع، أشكَال سخيفة باعتبارها فناً مُقلَّداً. وإنما أشير إلى عربة كاموس الشهيرة التي كانت تسلية لويس الرابع عشر في طفولته، وإلى لاعب الشطرنج الشهير المصنوع بشكل فجّ قصداً، وإلى الراقصين على الحبال المدهشين لماالثيل؛ وإلى تلك البطة المُعجبة التي بناها فوكانسون وكانت تنقر الحبّ الذي يُلقى إليها وتسبح في الماء كأقرانها من البط الحي. كل هذه الأعاجيب الميكانيكية وغيرها من المنتجات المُتقنة المعروفة حتى اليوم، كفّت عن أن تكون أعجوبة إزاء ما سوف ترونه عما قليل.

(يصفّق صفقتين موجهاً الكلام إلى الصناديق).

اخرجوا، يا سادة!.

(في صمت وترقب. لاتخرج الدمى).

خوان: (كأنما يمزق الصمت بغنائه.) كو، كو.

بيغماليون: (غاضباً، للأبله). يا أحمق! قلت لك: اسكت!
(يوجه الكلام مرة أخر إلى الصناديق.) هيّا! أسرعوا!
اخرجوا جميعاً! أنا بيغماليون، آمركم بالخروج!
(بلهجة صارمة جداً، ومصفّقاً صفقة). هيّا،
اخرجوا!.

(ضوضاء في كل مكان، وكأنها صادرة عن آلات موسيقية تعزف نشازاً. تتوقف الضوضاء حين يتم فتح الصناديق معاً، ويخرج منها في آن واحد كل ما بقي من الدمى الذكور وسط ارتطام النوابض وصرير الحدائد. [دون ليندو] وصيف بومبونينا الأمرد، يمثل شاباً رشيق القوام يلبس بزة تقليدية ثمينة شبيهة ببزات خدم الأوبرا الجميلين. وهو حاسر الرأس ويتمتع بشعر أشقر رائع مجعّد في حلقات تتدلّى على كلا الجانبين، ويتدثّر بمعطف قصير ويحمل سيفاً صغيراً مترفاً للزينة. [مينغو ريبولغو] يلبس بزة عصرية من طراز أمريكي، ويعتمر بقبعة من الجوخ؛ شعره أشقر ووجهه سمين نافر التقاطيع، ووجنتاه مصبوغتان، وبطنه بارز، ويحمل

ساعة جيب من ذهب سميكة ومعلقة بالسترة، ودبوساً من الحجارة الثمينة شُبكت به ربطة العنق، وخواتم شتىّ من الماس في أصابع يده اليسرى. (بيريكيتو إنْترِ ئيّاس) يتزيا بزي تافه مضحك، ويلبس حذاء ذا كعب عالٍ ويحمل عُصية من الخيزران رفيعة ومرنة. (القزم فزاعة السوق) ذو ثياب عصرية مماتلبسه الدمى كافة، ووجهه غير عادي ومخيف، وحاجباه كثّان وشعره مزبئرّينطلق من منتصف جبهته ويطل من عرنين أنفه وأذنيه، ويداه غزيرتا الشعر حاملاً نبّوتاً في اليد اليمنى. (آمبروسيو ذو البندقية) يلبس ثياب صياد معاصر وقبّعة صغيرة قماشية ومعطفاً واقياً من المطر وبنطالاً قصيراً وحذاء بنصف عنق بلون الجلد، ويضع جعبة في خصره، وتتدلّى من كتفه بندقية صغيرة على شكل لعبة. (برناردو ذو السيف) بزي رسمي من اختراعه يجمع بين زي عامل بلدية وجندي. يلقي على كتفه معطفاً قصيراً يغطي يديه إلى مابعد مرفقيه، تنتصب فوق رأسه خوذه عالية مفتوحة يطلق لحية على شكل مروحة ويحمل سيفاً

كبير الحجم طرفه يكاد يلامس الأرض. (العم باكو) عريض المنكبين، مربوع القامة وله مظهر فلاح منطوٍ على نفسه. (لوكاس غومِث) ذو وجه منقوش بأثار الجدري وعينه السليمة يخالط بياضها لون أحمر، والعين الأُخرى مغطّاة بعصابة سوداء، وشعره قصيرخفيف رمادي، وهو أفطس، أعوج الفم، كبير الصدر وعليه مظاهر الخُرْق، ثيابه ذات ألوان شتى وربطة عنقه زاهية. (بيروغرويّو) طويل جليل ممشوق القوام، جميل المنظر، أشيب وعليه مظهر عضو مجلس الشيوخ، أو سياسي هام، ويرتدي سترة وقبّعة تشريفات. (بِدْرو أوردِمالاس)، أعجف ناتئ العظام وفيه شيء من مظاهر رجل دين، شعره قصير مُسرّح إلى الخلف ووجهه ناعم حليق وناعم وذكي؛ حاجباه شيطانيان وعيناه مشعّتان مدورتان وعميقتان، وأنفه نحيل أعقف وفمه رقيق وخبيث؛ ويلبس ثياباً غامقة وبسيطة جداً، بعد أن تقدمت الدمى خطوتين، تقف ساكنة كأنها صور دون حياة إلى أن يحين الوقت الملائم فتتكلم وتشارك في العمل. حينئذ تصبح

حركاتها وقسماتها معبرة جداً، وحركاتها صلبة على شكل خفيف مسبوقة دائماً بأنغام ضعيفة تشبه أنغام لعبة ميكانيكية. الدوق والمتعهدون الثلاثة الذين يقفون دَهِشين في البعد الأول، ينظرون إلى الدمى فقط. يقف بيغماليون قريباً من دماه ويستمتع بالأثر الذي أحدثته. كل الحاضرين وقوف).

بيغماليون: (عائداً بعد فترة صمت إلى قرب النقيب).

هاهو النقيب آرانيا الشهير أمامكم. ولقد سبق لكم أن رأيتموه. هو لم يناصر، كما فعل الشاعر الأعرج تيريو، شعباً على شعب متيحاً له النصر. لكنه في مقابل ذلك، استطاع في أيامه الأسطورية الطيّبة أن يدفع ببلدان كثيرة إلى التقاتل، وأن يجعل فريقاً من ضباطه يقاتل ببطولة ويقتل في المعركة، بينما هو كان يكتفي دون أن يشارك في القتال، بالفرجة عليهم من بعيدوهم يقتتلون ويموتون؛ ويرسل أفواجاً من البشر إثر أفواج ليغذي جيوش هؤلاء الضباط. كما ترون، هو فخر الوطن. وأمّهات الشعب والشعب نفسه مدينون له بالعرفان والشكر الجزيل.

النقيب: (**متنحياً. يتكلم مفخماً ألفاظه، ويرن صوته في صدره**). هم مقرّون بفضلي. والبرهان على ذلك أنهم جعلوني خالداً.

الدوق: أعجوبة! يتكلم كما يتكلم البشر!.

د. خابيير: نعم، وياللعجب كالبشر!.

النقيب: (**يحييهم تحية عسكرية مرة أخرى**). وأنا بشر تقريباً، ولا أتنكب عْن أية مهمة خطيرة. فلايضاهيني أحد في تجنيد الجنود، واستنفار العزائم، وتسيير الناس إلى ساحات الوغى، وخدمة الدولة والمثال الأعلى.

بيغماليون: مفهوم يا نقيب، مفهوم. (**يوليه ظهره ويدنو من دمى المركز**). هاهو بيريكيتو أنترئياس. (**مشيراً إليه بإصبعه**). صديق دماي الإناث الكبير؛ هن يدلّلنه كثيراً لأنه يملك كل الشروط المرغوب فيها لإثارة إعجابهم، هو جميل وعابث وماجن وفيه كثير من الخفّة، وهو مسلٍ جداً وضعيف الذكاء. وإذْ كان لا يملك شيئاً يمكنه الكلام عنه يتكلم دائماً عن أحد ما. وماذا يحتاج المرء إلى غيـــر ذلك، لكي يكون ذا حظوة عند الجنس اللطيف؟ لديه، فوق ذلك، بزّات عدة، وهو طائش ومغفّل بامتياز.

بيريكيتو : شكراً جزيلاً . هذا فضل منك .

و. لوثيو : يا للشيطان ! ألا تسمعون ! .

د. أوليغاريو : هائل، هائل ! .

الدوق : لم ير أحد دمى بهذا الإتقان .

د. خابيير : ستلقى يا سيدي نجاحاً باهراً .

و. لوثيو:أمر مفروغ منه . نجاح غير قابل للاستنساخ .

أوردِمالاس:استنساخ! سنحفظ الكلمة .

د. خابيير:يو - هو - هو! من هذا المتصعلك الكئيب والشيطاني ! .

بيغماليون:بدرو أوردمالاس[1]!**(مقترباً من أوردمالاس)**.هو أشد دماي تعقيداً، وكان أصعبها صنعاً، وهو نظيري في الذكاء. لايمكن الحصول على دمية أكمل منه، ولاإبداع رأس صناعي خير منه . لكنه أخذ يصبح شريراً بالتدريج . أثناء صنعه، شعرت بالخوف منه. لكنْ لم يكن لديّ مجال لتصحيح الوضع ؛ وبين تحطيم العمل أو إنجازه اخترت الحل الثاني .

---

(١) شخصيّة نموذجية تمثّل الإنسان الداهية الماكر مع ميلٍ إلى الشرّ.

أوردمالاس: حسناً صنعت! أنا عنصر لازم لمسرحياتك. لولاي لما كان ممكناً مسرحنا ولاعالمنا ولاعالمك، ولا العالم الآخر الذي تزعم وجوده. أنا، إذاً، شيء ثمين لاغنى عنه.

العم باكو: (**موجهاً الكلام لإوردمالاس**). لاتبالغ، يارجل، لاتبالغ!.

(يتكلم بهدوء وعليه سيماء الرصانة، ومظهر ثعلب عجوز وبلهجة مغرضة مثل لهجة فلاحي الشعب الحكماء).

بيغماليون: (مشيراً). هاهو العم باكو أمامكم. هو قليل التهذيب لكنه متواضع وحكيم ولايحب أن يُخدع ولايطيق الغلوّ. في شبابه كان صاحب حانوت في قريته، وكان يبتهج بخلط الخمر بالماء باخساً الأشياء حقها، جاعلها مبتذلة بصورة خاصة. لذلك، هو يمثل دوره في المسرحية تمثيلاً رائعاً ويصفق له الجمهور تصفيقاً كثيراً.

العم باكو: ليس كثيراً! ليس كثيراً!.

مينغو ريبولغو: (يرفع يده اليمنى إلى بطنه ويداعب السلسلة الغليظة التي تلمع على سترته). فعلاً، ليس كثيراً!
مينغو ريبولغو حصيف ومتزن، ويصفق دائماً باعتدال وتحفظ، خاصة بتحفظ.

بيغماليون: فعلاً! هذه «الدمية» لايبدّد وقته في الانفعال. وقد عُنيت به أيضاً لما صنعته. لديه مجموعة جواهر تُلمح من مسافة مئة فرسخ. وجيبه ممتلئ جداً بالنقود. القسم الأعظم من أرباحي محفوظ عنده، فلايعرف أحد تقدير المال ولا المنفعة مثله، إنه خازني.

مينغور يبولغو: لأنني دمية شريفة.

(تُسمع جَشْأة طنانة مدوّية قبيحة، خرجت من جوف لوكاس غومث الذي أبطأ في رفع يده متكاسلاً إلى فمه).

د. لوثيو: (ناظراً دَهِشاً إلى لوكاس غومث). ياله من فظ!.

د. خابيير: وياله من بظ!.

د. أوليغاريو: انطلقت منه عفوياً.

بيغماليون: تأدّبْ، يالوكاس غومث. كنت دائماً سيّء التربية وفضولياً.

الدوق: تجد حولك كثيراً من أمثال لوكاس غومث، يابيغماليون. وها أنت صرت تعرفهم، صرت تعرفهم.

بيغماليون: دماي تجد أشباهاً لها في كل مكان، وإن أطلقت عليها في مسرحياتي أسماء إسبانية.

بيروغرويّو[1]: (**بجد بالغ**). إن الطيور على أشكالها تقع.

العم باكو: (**ناظراً إلى بيروغرويو**). نعم، على أشكالها تقع.

د. خابيير: هذا فخر الكلام.

د. لوثيو: ما أجمل مداخلة دماك ومشاركتها في الوقت المناسب.

د. أوليغاريو: ليس بالإمكان بلوغ ماهو أفضل منها.

بيروغرويو: (**يتقدم خطوة، رافعاً يده بجلال، ويتكلم ويومئ على شكل مشخص مشكلاً حلقة بالسبابة والإبهام**). إذا كانت على أشكالها تقع، فلأن الطيور موجودة في كل مكان.

بيغماليون: هذا السيد الدمية بيروغرويو هو أثبت دماي موهبة، وأكثرهم احتراماً ومعرفة. كلهم معجبون به ويطلبون

(١) شخصيّة نموذجية تمثّل السذاجة خالصة

مشـورته وهو أشـدهـم نفـوذاً، وإذا تحـررتْ ذات يوم، وشكلت حكومـة، فسـوف يكون رئيسـهـا. غيـر أن أوردمالاس يسخر منه قليلاً.

آمبروسيو: وأنا!

بيروناردو: وأنا!

آمبروسيو: أنا وبيرناردو قد نقلب هذه الحكومة فوراً.

الفزّاعة: (**يقف في مواجهـة بيرناردو وأمبروسيو مُدَوّراً عينيه الشرستين المخيفتين كاشفاً عن أسنان بيض حـادة رهيبة ملوّحاً بهرواته**). وهل أنا مقطوع اليد؟

الـدوق :أهذه عناصر الشغب؟

د. أوليغاريو: (**متمترساً وراء دون لوثيو**.)نبهنا ياسيد، كيما نأخذ حذَرنا.

بيغماليون: لاتخـشـوا شـيـئـاً ياسـادة. لـيسـت من الدمى التي يحترس منها.

آمبروسيو: (**يضع البندقـية أمام وجهـه ويُسدّد في الهـواء**). ألا يُحترس منا؟ (**يطلق دون أن تخـرج الطلقـة. يسـمع صوت الزناد الجاف**). بندقيتي لا تخطئ الهدف أبداً.

العم باكو: لاتخطئ أبداً. ونسبة الإصابة المحقّقة بها تسع وتسعون بالمئة.

بيرناردو: سيفي المجيد بَلِيَ من كثرة الطعن.

(يقبض عليه، ويستّله، ويلوّح بسيف من خشب ودون حدّ قاطع، بل هو مثلّم ومستهلك).

الفزاعة: (يسوط الهواء بالنبّوت). نبوتي لايضاهيه شيء!.

خوان: (ساخراً). كو، كو.

بيغماليون: (منرفزاً). اسكتوا جميعاً! هدوء!.

بيروغرويو: (يرفع ذراعه مرة أخرى فجأة وبأبهة كبيرة). إذا سكت الناس ساد الهدوء.

د. أوليغاريو: (ناظراً إلى شركائه). عجباً لهذا المتصعلك!.

بيغماليون: (لدون أوليغاريو). هو شخصية هامة. في مسرحيتي المشهورة المعنونة: الخلاص من تجارة الرقيق العصرية، «كان» هذه الدمية يرأس بنجاح مجلساً من النبلاء الشيوخ. هاأنتم قد تعرفتم الآن على دماي التي عرضتها عليكم. والآن، سأقدم لكم الجنس اللطيف في فرقتي.

د. أوليغاريو: هيا، أرنا الجنس اللطيف! ألا فَلْيأتِ هنا!.

الدوق : أرنا دماك الإناث.

بيغماليون: قبل ذلك، سأسحب دماي الذكور (يتجه صوب هؤلاء). هيا، استعدوا! (ضوضاء متعددة الألوان تضطرب في صدور الدمى التي ازدادت اتساعاً في آن واحد). واحـــــد! اثنان! إلى الوراء درْ! (باستثناء الوصيف، تمتثل الدمى إلى الأمر غريزياً وتدور حول نفسها كأنها تدور حول محور). ادخلوا! (تدخل جميعاً صناديقها وتدور نصف دورة مطبقة الأبواب وراءها ماخلا دون ليندو الذي لايبرح مكانه. تسمع صرخات خشنة قوية وحادة في صندوق لوكاس غومث الذي أطبق الباب على أصابع يده، فظل بذلك وحده موراباً).

لوكاس: (من الصندوق). آي، آي، آي، آي!.

الدوق: (مذعوراً). ماهذا؟.

د. خابيير: (خائفاً خوف رفيقيه الآخرين). ماذا جرى؟.

د. لوثيو: أحدث شيء؟.

بيغماليون: لم يحـدث شيء. لاشيء خطيـر. (**يسعى سريعاً لمعالجة الضرر فيسحب أصابع الدمية حيث أطبق عليها الباب ثم يغلقه على لوكاس غومث**). انتبه إلى نفسك، ياسيد لوكيتاس. أنت غبي دائماً.

الدوق: معجزة، معجزة أن تعرض دماك بهذا الشكل.

د. لوثيو: شيء لايصدق!.

د. خابيير: حقاً، لايصدق!.

د. أوليغاريو: نعم، وياللعجب!.

الدوق: (**مشيراً إلى الوصيف**). وهذا، لِمَ لايدخل؟.

بيغماليون: لأنه شـاعـر شـاب ومـغـرم، ويعلم أن بومـبـونينا سـتـخـرج عـمـا قليل، ويريد أن يراها ويسـدّد إليـهـا نظرات، ويتوجّه إليـهـا بتأوهات، وينشـدها بصـوت خفيض مرثية أو قصيدة غزل قصيرة.

الدوق: ذلك سيرفّه عنا كثيراً، يا رجل. دعه هنا ولا يدخل.

بيغماليون: سيـرفه عنكم جـداً، لكنه لـن يرفـه عني. (**رافعاً صوته**). ادخل دون ليندو! لسنا بحاجة إليك.

د. ليندو: لكن بومبونينا تحتاج إليّ.

(يتكلم بصوت عذب وبلهجة مُدِلّة حزينة).

بيغماليون: كلا، يا رجل، كلا! هيا، سر!

د. ليندو: من سيساعدها على الخروج من الصندوق إذا كسلت عن السير وحيدة؟ من سيروح عليها بالمروحة إذا اختنقت؟ من سيناولها أقراص البونبون والمرطبات إذا عطشت؟ من يستطيع ملاطفتها كما أفعل، مطرياً محاسنها؟ بومبونينا تحتاج إليّ.

بيغماليون:لكنني، لكنني لاأحتاج إليك! هيا، سرْ!.

د. لوثيو:دعني هنا.

بيغماليون:لن أدعك.

د. ليندو:أتخرج ولاأراها! لماذا وهبتني الحياة، سيد بيغماليون، ألكي تجعلني تعيساً؟.

بيغماليون:لذات السبب لم وهبني الله الحياة ووهب العالم الوجود دون أن يأخذ رأينا. هيا، أسرع!.

د. ليندو:سأقص على بومبونينا كيف تعامل وصيفها.

بيغماليون: لاتخدع نفسك، بومبونينا لاتكترث لشيء من هذا.

د. ليندو: آي ، نعم، لسوء الحظ!.

بيغماليون: إذاً، إلى صندوقكَ!.

د. ليندو: أذهب مرغماً! لكن، ضع في حسبانك أني معترض.

بيغماليون: حسن جداً! ذلك لايهمني في شيء. قبلت الاعتراض. (آمراً). واحد! (**تتردّد الدمية**). اثنان! إلى الوراء، درا (**يخضع الوصيف**). ادخل! (**يدخل دون ليندو صندوقه ويغلق وراءه الباب كما فعل الآخرون**).

بيغماليون: الحمد لله!.

الدوق: لذيذ! رائع! هيا بنا إلى دماك الإناث.

د. خابير: نعم نعم! أرنا الدميات!

د. أوليغاريو : أهن جميلات؟

بيغماليون: غاية في الجمال.

الدوق: لا تجعلنا نجنّ من الفضول.

بيغماليون: متى تربَ بومبونينا يا سيدي، أفقد عطفك وصداقتك.

الدوق: رددّت عليّ هذا القول مرات، وأنا أراه محالاً.

بيغماليون :تقتنع برأيي. نضارتها نضارة امرأة صناعية صغيرة سببت لي كثيراً من الآلام. فبعضهم أقسم على قتلي ليستولي على الدمية. ،بين كل اللعنات التي انصبّت عليّ، شغلتني إحداها ولا تزال تشغلني. وأخيراً، سيدي الدوق، ستقف الآن أمام أكبر فتنة رأيتها في حياتك.

الدوق: يا إلهي!

بيغماليون : لا شيء في الحب أكثر جذباً مما هو محال وعابث وسطحي. وبومبونينا تجمع ذلك كله. أنا أحبها غصباً عني، حتى العبادة. ومن هنا منشأ عذابي بأن صنعت هذه الدمية. أنا لا أتركهاقريبة مني، لأني أخشى على نفسي من نفسي. لكني سأفقد الإرادة ذات يوم، وأقوم بحماقة وأعيش مع بومبونينا، وينتهي بيغماليون وأحلامه في خلق إنسانية أفضل.

الدوق: إضافة إلى أنك فنان كبير، أنت مؤلف هزليات رائع، وتجيد محاكاة الأصوات ببراعة فائقة.

د. خابيير: وكوميدي بضخامة بيت.

يغماليون: ممثل هزليات وكوميدي ومقلّد أصوات، ثم ماذا؟ إذاً، سأريكم الآن ياسادة.

الدوق: هذا مانرغب فيه.

(يخرج يغماليون محفظته ويفتحها، يبحث فيها ثم يُخرج أمام أعين المنتظرين الأربعة، مفتاحاً أصغر من المفتاح الأول. يدنو من صناديق وسط القاع حيث الدمى الإناث، ثم يأخذ بفتح قفل كل صندوق. يسمع عند إدارة المفتاح في كل صندوق، صوت نقي موسيقي جميل مثل أصوات بعض الأجراس ذات الإسطوانات المعدنية التي توضع خلف الأبواب).

يغماليون: **(يدنو من صندوق بومبونينا ويضغط على زر غير مرئي في جانب الصندوق، ويبتعد بضع خطوات).**

بومبونينا! بومبونينا الرائعة، هيا اخرجي!.

المشهد الرابع

الأشخاص السابقون وبومبونينا التي تشق باب الصندوق على صوت الأجراس المعدنية، وتطلّ فقط برأسها ذي الشعر الأشقر والمغطى بقبعة صغيرة ثمينة؛ ووجهها لطيف غاية اللطف والجمال وذو بشرة سمراء وله بريق لؤلؤة. على وجنتيها اليسرى شامة محبّبة قريباً من فمها. عيناها زرقاوان مشعّتان وذاتا نظرة حلوة تتحريان الحجرة بفضول، وتنظران إلى بيغماليون ورفاقه على شكل محزن.)

د. خابيير: خي - نو خو! ماأجمل وجهها!.

د. أوليغاريو: (متنهداً). آي، ياإلَهي!.

د. لوثيو: درة مصقولة بفن!.

الدوق: لاتنطق بالحماقات! هي ڤينوس الشابة ذاتها.

بيغماليون:كلٌّ يعبّر حسب نصيبه من العلم. قول السيد دون لوثيو جيد. إنها الجمال ضمن ما هو معروف. عيناها زرقاوان وبشرتها بلون عرق اللؤلؤ، ولها شامة على وجنتيها، وبكل هذه العناصر المعروفة جداً حتى تبدو درة.

الدوق: (بنشوة). ملكة الدرّ!.

بيغماليون:بعض الأشياء لاتستطيع أن تجعلها مبتذلةً كلُّ فيضانات الشعر الرديء، كالليالي المقمرة والبحر والنساء الجميلات.

بومبونينا: **(تخرج فاتحة باب الصندوق على مصراعيه. ضامة تنورتها قليلاً. تخطو خطوات وتحيي بانحناءات محسوبة ترافقها موسيقى عذبة هادئة)**. مساء الخير! **(تلبس ثياباً حريرية ناعمة وثمينة كأنها أميرة من أميرات واتّو. يتدلى من خصرها معلقتين بسلسلة ذهبية صغيرة، مروحةٌ مدوّرة، ومرآةٌ من الفضة المصقولة لها ذراع مرصع بالحجار الكريمة)**.

الدوق: **(ضاماً يديه بذهول)**. أعجوبة من الأعاجيب!.

د. أوليغاريو: أنا أشعر بالدوار .

د. لوثيو: ماأعظمها ! .

(**يحاول الرجال الأربعة الاقتراب منها**) .

بيغماليون: (**يوقفهم بإيماءة**) . هذه الساعة ، يجب النظر إليها من بعيد . في يوم آخر سأدعكم تتأملونها عن قرب دون أن تلمسوها .

(**يتراجع الرجال الأربعة وهم يتأملون ذاهلين بومبونينا التي تبتسم لهم بغنج، بعد أن تناولت مرآتها المعلّقة ونظرت إلى نفسها فيها وأصلحت ذؤابة حرة من شعرها. يخرج علبة بونبون من جيبه ويقدّمها لبومبونينا**) . خذي أقراص البونبون ! .

بومبونينا: (**تأخذ العلبة بنفور**) . شكراً . وأزهاري؟ .

بيغماليون: لاأزهار لك اليوم، أنت معاقبة .

بومبونينا: (**تقطب في وجهه بغنج وغضب**) . أنا لاأحبك، لأنك عاقبتني .

بيغماليون: كوني طيبة ! .

بومبونينا: لاأرغب في ذلك.

بيغماليون: لاتكوني وقحة!.

بومبونينا: أنا غاضبة! غاضبة! كل يوم سأصبح أكثر سوءاً. سأزداد سوءاً على سوء، غضب، غضب، غضب.

بيغماليون: بومبونينا!.

بومبونينا: (**تقطب مرة أخرى**). أحمق!.

الدوق: (**تنطلق منه دون أن يدري الكلمة**). بومبونينا الرائعة!.

بومبونينا: (**تلقي مرة أخرى نظرة عجلى على المرآة**). هكذا يدعونني بسبب من حسني الفائق.

بيغماليون: لمن تدينين بهذا الجمال؟ من جعلك هكذا؟.

بومبونينا: الله!.

بيغماليون: بل . . . . . .

بومبونينا: ألا تقول إن الله خلقك؟.

بيغماليون: بلى!.

بومبونينا: إذاً، لولـم يخلقك الله، لما استطعت أن تبـدعني.

(**تفـتح العلبـة وتتناول منهـا قطعـة شـوكـولا وتلتهمها**). لذيذة جداً! (**ترفع العلبة**). من يريد؟.

الدوق: (**لبيغماليون**). أيمكنني أن آخذ قطعة؟.

بومبونينا: (**تسحب العلبة**). ماأحلاك! لا، ياسيدي، لايمكنك! عرضتها بدافع المجاملة. هي ثمينـة جداً وأنـا أريدهـا لـي وحدي.

بيغماليون: هي دمية أنانية جداً.

الدوق: بل لطيفة!.

د. أوليغاريو: لو كنا نعلم أنك معجبـة بالأزهار يابومبـونينا، لكنا فرشنا أرض المسرح بالأزهار.

الدوق: غداً، سأحمل إليهـا كل الأزهار المغروسة في حدائق مرسية وبلنسية.

بومبونينا: (**راضية جداً. لبيغماليون**). لشـدّ ما أعجبتُهم! لشـدّ ما أعجبتُهم!.

د. لوثيو: إن كانت كلمة إعجاب تكفي!.

د. خابيير:(مقترباً من الدوق والمتعهدين. لبومبونينا مرة أخرى). بل خلعت مفاصلنا.

بيغماليون: (دون أن يدعهم يقتربون). لاتقتربوا منها، خلّوا مسافةبينكم وبين دماي.

الدوق: (يتراجع والمتعهدون قليلاً). أتخلّى عن كل ثروتي لقاء هذه الدمية يابيغماليون.

بيغماليون: لاأبيعها لقاء أي شيء، ثروتي تبلغ ملايين كثيرة.

الدوق: ياللأسف!.

بيغماليون: وفّر ثروتك، فلربما فقدت بومبونينا مؤقتاً. أنت لاتعلم كم يكلفني هذا الشيء.

الدوق: وأي شيء، يارجل! إنها ملاك.

بومبونينا: (تروّح على وجهها بالمروحة). هذا عين الصواب. ملاك!.

بيغماليون: دون أجنحة، ومن أغلى وأخطر الملائكة. صدقني!.

بومبونينا: (تطبق المروحة وتهدد بيغماليون بها). أنا لاأحبك. أبعد عني!.

بيغماليون: اسكتي! .

بومبونينا: اسكُت أنت! .

بيغماليون: ماأجمل طريقتك في الجواب! .

بومبونينا: لقد سئمتك . وإذا واتتني الفرصة سأهرب منك .

الدوق: ليكن هروبك معي .

د. لوثيو: ياخيبة الفتاة بك! .

د. أوليغاريو: ستقتلها ضجراً .

بيغماليون: ماأعظم حظّكِ من النجاح ! لا تخيب ضربتك أبداً .

د. خابيير: ولا ينبغي لها أن تخيب ، لاينبغي لها أن تخيب يارجل! .

بيغماليون: سترون الآن ياسادة ، وصيفات بومبونينا الأربع . هن يلفتن الانتباه بشدة مضاعفة إذا لم يقفن إلى جانب بومبونينا .

(يطوف بالصناديق الأربعة ضاغطاً على الزر الموجود على جانب كل منها كما صنع مع صندوق بومبونينا) .

الدوق: رؤيتنا كل شيء بعد بومبونينا عبث.

د. أوليفاريو: عبث مطلق. صاحبتي تشيتشيتا تبدو صعلوكة مقارنة ببومبونينا.

بيغماليون: **(بصوت قوي صارم)**. ماريلوندا، دونديـنيلا. كورينا، لوثيندا ! اخرجن جميعاً.

(رنين أجراس موسيقية مضبوط. تُفتح أبواب الصناديق الأربعة وتظهر داخلها الدمى الأربع الباقيات، هن شابات ذات وجوه جميلة وناعمة كالبورسيلين. اثنتان منهن شقراوان والأخريان سمراوان وجميعهن يرسلن شعورهن ملقيات بها إلى الخلف. وتنانيرهن قصيرة، وأحذيتهن أنيقة، ونظاراتهن ذات مقابض طويلة معلقة بخصورهن).

المشهد الخامس

الشخوص السابقون والدمى الأربع التي تخرج من الصناديق راقصة بفتور على إيقاع موسيقى هادئة بطيئة، كما هي العادة في موسيقى الدمى الميكانيكية، ويقفن إزاء بومبونينا ويحيينها بانحناء. ثم تزداد انحناءاتهن شيئاً يسيراً إزاء بيغماليون ورفاقه. تتوقف الموسيقى وتظلّ الدمى الأربع ساكنة متيبسة قليلاً).

د. لوثيو: إنهن لآلىء! .

د. خابيير: وما أعجب تركيبهن! .

د. أوليغاريو: مثل تركيب الدمى الأخر.

الدوق: لكن، بعد رؤية ما رأيناه...

د. أوليغاريو: مقارنة ببومبونينا لسنَ شيئاً يُعتدّ به.

دونديبيلا: (ترفع رأسها وتخفضه بين رشقة موسيقية خفيفة

وأخرى، وتنظر إلى الدوق وشركائه من رؤوسهم حتى أقدامهم). كـان بإمكانهم أن يكونوا ألطف وأظرف.

ماريلوندا: الرقة غالية الثمن!.

كورينا: ويصعب الحصول عليها.

لوثيندا: بالطبع، هم يقولون عنّا ما يخطر لهم نظراً إلى أننا دمى.

بومبونينا: لا تلتفتْنَ إليهم . . هم ثلّة مجانين.

ماريلوندا: (بغضب صبياني). أنتِ سلبت عقولهم.

بومبونينا: أنا؟ معاذ الله! هم مجانين. جنُّوا تلقائياً.

بيغماليون: والآن، لن تناموا يا سادة، كما قلت لكم بالأمس أول مرة، أليس كذلك؟.

د. أوليغاريو: من ينام وهو يرى هذه الأشياء؟!.

د. لوثيو: حذارِ، حذارِ، إذا أحضر بيغماليون شخوصه!.

د. خابيير: يجب تعزيز مصلحة الحرائق!.

بومبونينا: يا خوفي! لا تكونوا سادة خبثاء.

الدوق: ما أغلاك! أي سحر فيك يا دمية؟!.

بيغماليون: حسن! يكفي لهذه الليلة. انتهى العرض. وادخلن أنتن جميعاً.

بومبونينا: أندخل الآن؟ ما أشد ضجري! لم نكد نخرج حتى أُدخلنا!.

بيغماليون: لا تكوني نزقة. أطيعي واسكتي.

بومبونينا: **(تفتح عينيها وتطبقهما، ملقية نظرة عاجلة على المرآة الصغيرة، في أوضاع شتى)**. آي! من يسرقني من بيغماليون، ويريحني منه؟!.

الدوق: **(يتجه صوبها متحمّساً)**. أنا!.

بيغماليون: **(قاطعاً عليه الطريق)**. مكانَك!.

الدوق: دعني، ياسيد!.

بيغماليون: **(يمسك الدوق من صدره بيده اليمنى ويبعده بلطف)**.

مكانَك! قلت لك إنك ستبغضني ما إن ترى بومبونينا. **(يلتفت بوجهه إلى الدمى ويصرخ بلهجة**

طاغيةٍ، لهجة أمرٍ جافة). إلى الوراء درْ! ادخلن صناديقكن!.

(تُذعر بومبونينا والدمى الأربع ويدرن على أعقابهن ويدخلن بسرعة صناديقهن ويطبقن الأبواب خلفهن كما فعل الدمى الذكور. تنطلق أصوات شتّى مختلطة مع بعضها تشبه أصوات علب آلات موسيقية وأجراس معدنية. يضغط بيغماليون مرة أخرى على أزرار الصناديق ويقفلها فوق ذلك بالمفتاح الذي يحفظه في محفظته. يراقبه الدوق طويلاً حين كان يقفل الصندوق، ولا يرفع بصره عنه).

المشهد السادس

بيغماليون والدوق والمتعهدون الثلاثة، ثم بعدهم البواب.

الدوق: محال أن تكون تلك دمية!.

بيغماليون: لكنها كذلك حقاً. دمية فريدة!.

د. أوليغاريو: وقادرة على سلب لبّ قدّيس!.

(يمعن بيغماليون النظر فجأة إلى أحد الصناديق، ويتأمله عن قرب ثم يفحص بعناية أزرار بعض الصناديق الأخرى وأقفالها).

د. لوثيو: ما الأمر؟.

بيغماليون: (يبدي شيئاً من الدهشة وهو يفحص الصناديق. ويجعل بعض الكلمات تنطلق منه وكأنه يتحدث إلى نفسه). كل ذلك غريب!.

الدوق : (**يذهب إلى بيغماليون بفضول كبير**) . أخرب شيء ما؟ .

د. خابيير: (**ينظر بذعر إلى دون أوليغاريو**) . ماذا ... ، ماذا هناك؟ .

بيغماليون: (**يخرج قلم رصاص ويخطط به نقاط الوصل في أبواب بعض الصناديق**) . لا شيء خطير ، لا شيء مما يهمكم ، يا سادة ! غداً صباحاً سأبدّل كلَّ الأقفال .

الدوق : لكن ، ماذا جرى؟ .

بيغماليون: أرتاب في أن دماي استطاعت اكتشاف الوسيلة لفتح الصناديق والخروج منها حين لا يراها أحد .

د. خابيير: يا ساتر ! .

بيغماليون: دماي من النوع الخطر .

الدوق: هن الحياة ذاتها .

بيغماليون : إلى الآن ، لم تقدم غير الشيء اليسير . متى ترونها غداً تمثل مسرحياتي ، تتحققوا من الإتقان الذي بلغه صنعها .

البواب: (**يدخل من الجانب الأيسر - البعد الأول، وقبعته في يده**). حضر محررو المجلات المصوّرة وهم دهِشون جداً لعدم السماح لهم بالدخول لالتقاط الصور. كذلك يبحث عنكم جمع كبير من محرري الصحف، وإليك يا سيد بيغماليون، هذه البطاقات.

بيغماليون: (**يأخذها ويقرؤها**). بالإذن منكم، يا سادة، أنا ذاهب لأعتذر إلى هؤلاء السادة جميعاً، وأشرح لهم لماذا لا يلائمني التقاط الصور حتى الغد.

د. لوثيو: ونحن ذاهبون معك.

د. خابيير: يجب إرضاء هؤلاء الناس جميعاً.

د. أوليغاريو: بالطبع! وأنت، ألن تذهب، يا سيدي الدوق؟.

الدوق: سأذهب فوراً، أنا بانتظاركم في الإدارة.

بيغماليون: حسن جداً. سأتحرر من كل هذه الزيارات، ثم نذهب معاً لتناول مشروب حار. وبعد ذلك، سأخلد إلى الراحة. أشعر بألم في أعصابي.

الدوق: سنفعل ما تشاء.

بيغماليون: (ينصرف من الحد الأول للجانب الأيسر). إلى اللقاء، إذاً.

د. لوثيو: (يتبعه). لنذهب جميعاً.

د. أوليغاريو: (يمسك بدون خابيير من ذراعه). لنذهب!.

د. خابيير: نعم، فلنذهب!.

(يخرج الثلاثة في إثر بيغماليون. يتأهّب البواب للانصراف من حيث انطلق السابقون، لكنه رجع على عقبه بإشارة من الدوق.

المشهد السابع

الدوق والبواب .

البواب:(مقترباً من الدوق) . أدعوتني ، ياسيدي الدوق؟ .

الدوق:(بهدوء) . إذا ذهب هؤلاء جميعاً ، أطفىء الأضواء ، ودعْ ضوءاً واحداً مشتعلاً على خشبة المسرح .

البواب: سيكون ذلك .

الدوق: قم بالحراسة كالعادة ، وبعد ساعتين انتظرني في الشارع عند باب الطوارىء الذي يطلّ على مخزن الملابس ، واكتم الأمر جيداً . ولا يعلم به حتى الفئران . (يضع بعض النقود في راحة البواب) . أفهمت عليّ يا سيد؟ .

البواب: تمام الفهم! سيدي الدوق .

الدوق : إذاً ، احفظ السر ، وانصرف! .

(يخرج من حيث خرج بيغماليون والمتعهدون) .

البواب: (**وهو يشيعه**) . كن مطمئناً، سيدي الدوق . (**يتوقف للحظات ناظراً إلى الصناديق**) . اللعنة على هذه النعمة التي تجعلني أحرس هذه الآلات الشيطانية ! ... لولا النقود ما كنت أبالي بأن أبقى هذه الليلة هنا .

(يذهب . المسرح خالٍ. تنخفض الإضاءة فجأة، ويبقى منها وهج ضوء خفيف شاحب. يسقط الستار ببطء).

الفصل الثاني

ساعة واحدة بعد الفصل الأول ، المشهد ذاته مقفراً، والعتمة نفسها. تبرز الصناديق بين الستائر الغامقة كأنها نعوش زاهية الألوان، مربعة الأشكال. يمكن سماع صوت طيران ذبابة وسط الصمت العميق الذي يقطعه صدى صرير معدني ضعيف، ويُفتح باب صندوق خوان الأبله. يطل هذا برأسه وينظر ويعيد النظر فيما حوله.

المشهد الأول

الدمى وحيدة

خوان: (من الصندوق، بعد أن يراقب المسرح لحظة).

كو، كو.

(يغلق الباب، تاركاً فرجة ليظل يتابع النظر منها. يُفتح باب صندوق مينغو ريبولغو الذي يجيل النظر أيضاً مثلما فعل خوان. وإذ يلاحظ الوحدة الكاملة، يخرج من صندوقه بجلال وبطء، ويسير على رؤوس أصابع قدميه حتى صندوق بومبونينا كما ينبغي لدمية تقلّد البشر تقليداً جيداً. ولما صار عند ذلك الصندوق، أخرج من جيبه صرّةً ضخمة ينظر إليها ويروزها. ثم يدق على باب الصندوق بهدوء محركاً الصرة. خشخشة نقود معدنية، وصوت جرس حاد ولطيف عند كل دقة على الباب).

مينغو ريبولغو: (**يخرج الصرة**). بومبونينا، بومبونينا...، لدي نقود كثيرة. أتسمعين رنينها؟ نقود كثيرة. ولديّ كل الماسات والحجار الكريمة التي أعطانيها بالأمس بيغماليون لحفظها. أتسمعين؟ (**يرافق كل مقطع من كلماته عند تحريك الصرة**). بوم... بوم... بوم... بومبونينا...، تعالي...، تعالي... تعالي... أنا بانتظارك في صندوقي! تعالي... ولا تتأخري. تعالي! (**يحرك الصرة لآخر مرة في الهواء ويعود إلى صندوقه ويحتبس فيه مطبقاً الباب بلطف. تفتح بومبونينا باب صندوقها بهدوء. تفحص المسرح كله بحذر. تخرج وتترك الباب مغلقاً، وتسعى راكضة على رؤوس أصابع قدميها الصغيرتين اللتين تطلقان موسيقى ناعمة عند ملامستهما الأرض، وتبلغ صندوق مينغو ريبولغو الذي تدق عليه بمقبض المروحة**).

بومبونينا: (**تدق الباب**). أنا بومبونينا. افتح قبل أن يراني أحد.

(**صرير جاف، يُفتح الباب بشكل موارب، وتظهر يدُ مينغو ريبولغو الضخمة، ويجذب بومبونينا التي تدخل الصندوق فوراً. تنطلق، وسط الصمت**

اهتزازات كالتي تحدثها ساعة ربط حين ينفكّ رباطها عند حلول الساعة الموعودة. ثم صرير جاف آخر. صمت ووحدة تسود المسرح من جديد. يُخرج الأبله الذي يظل يتجسس، رأسه مرة أخرى).

خوان: (ناظراً ألى صندوق ريبولغو خافضاً، رافعاً رأسه ويغمز غمزات معبرة).

(يختبيء وراء الباب مرة أخرى تاركاً الفرجة ذاتها للنظر. يخرج بيريكيتو إنترئياس منزلقاً بخفة كبيرة حتى صندوق كورينا).

بيريكيتو: (يدق الباب بالخيزرانة). كورينا، كورينا! هذا أنا بيريكو، بيريكيتو، بيريكيّو!.

كورينا: (يبدو منها رأسها فقط وراء الباب. يدندن الجرس). لا رغبة الليلة عندي في الزيارات، أنا متعبة.

بيريكيتو: لكن، يا جميلة، يا كورينا...

كورينا: أنا متعبة من السفر وتؤلمني كل نوابض جسمي وحباله.

بيريكيتو: اسمحي لي بلحظة واحدة، يا امرأة، لديّ ما أقوله لك.

كورينا: (بغنج وحزم.) لا، لا، لا يا بيـريكتيّـو. الآن أقـول لك: لا ولا ولا.

(تطبق الباب على عجل. طنين معدني طويل.)

بيريكيتو: ما أشـد نفاقهـا! ومـا أسرع تغـير قلوب النسـاء! هن دائماً نزقات. (يذهب إلى الصندوق المجاور قارعاً بابه أيضاً.) دونديـنيلا! دونديـنيلا!.

دونديـنيلا: (تخرج أنفـها من وراء الباب الذي واربته قليلاً.) لا تقلق راحتي!.

بيريكيتو: لكن...

دونديـنيلا: لا تثر صخباً! أنا على موعد مع العم باكو.

بيريكيتو: مع العم باكو!... لكن، مالكِ يا امرأة!.

دونديـنيلا: سأذكر لك السبب في وقت آخر...

بيريكيتو: لكن، يـا فتـاة، أمـوعـد مع هـذا الـرجـل البـائس الهرم؟!.

دونديـنيلا: لا تتدخّل في ذلك!.

بيريكيتو: لكـن، نعم سـأتدخل، وأتدخل... وسـتـرين كـيف أتدخل. اسمعي...

دوندينيلا: لن أسمع، ستتحدث بذلك. وداعاً!.

(صفقة باب وصوت معدني.)

بيريكيتو: نزقات ووقاح! وكم هن سريعات التصديق! يرضين بالمكاره ويرينها فوائد.

(يمشي راجعاً ويمرّ من أمام صندوق بومبونينا، ويدق باب لوثيندا.)

لوثيندا: **(تفتح الباب قليلاً وتنقلب غاضبة لما رأت بيريكيتو.)** هذا أنت، أنت، أنت!.

بيريكيتو: مالكِ؟ ماذا جرى؟.

لوثيندا: وتواتيك الجرأة على المثول أمامي بعد كل ما صنعته لي في القطار!... اذهب، اذهب يا وقح، يا هالك، يا بليد... انقلع من هنا!.

(صفقة باب أخرى، وضوضاء عنيفة تصدر عن النوابض وتتشابك فيما بينها باهتزازات.)

بيريكيتو: حسن، يا سيدي! ما بال هذه الفتيات! حتى كأنهن تآمرن عليّ!.

(يدقّ باب ماريلوندا).

ماريلوندا: (توارب الباب.) أهلاً، بيريكيتو!.

بيريكيتو: أهلاً، يا جميلتي! أريد أن أكلمك.

ماريلوندا: أنا نعسانة جداً. دع الكلام حتى ليلة أخرى.

بيريكيتو: أريد أن أقول لك ... !.

ماريلوندا لا تقل لي شيئاً!.

بيريكيتو: ذلك خسارة لك. أريد أن أقص عليك قصة لوثيندا.

ماريلوندا: (تبدي اهتماماً شديداً، وتخرج جذعها خارج الصندوق.) قصة لوثيندا؟.

بيريكيتو: نعم!.

ماريلوندا: وأخيراً، يا رجل!.

بيريكيتو: وها أنت ترين، كيف أني أسعى دائماً لإدخال السرور ...

ماريلوندا: لكن، أستقص عليّ حقاً؟.

بيريكيتو: سأقص كل شيء.

ماريلوندا: ادخل، إذاً.

(يدخل بيريكيتو علي عجل، ويغلق الباب خلفه.)

خوان: (يخرج رأسه مرة أخرى.) كو، كو، كو، كو.

(يدفع دون ليندو باب صندوقه، ويختفي الأحمق فوراً دون أن يتخلى عن مراقبة ما يجري على خشبة المسرح.)

دون ليندو: (صار خارج الصندوق ويفرك عينيه ويتمطّى.) صفير هذا الأحمق ربما كان مفيداً أحياناً، فقد صنع حسناً أن أوقظني الآن. يبدو محالاً أن ينام محبٌ نومي. تبّاً لهذا البغيض بيغماليون! ما أطول الليالي التي قضيتها مؤرّقاً حباً ببومبونينا!... بومبونينا! وما قيمة الدنيا وحياة الدمى من أمثالي لو لم تكن هي على وجه الأرض؟ (يذهب إلى صندوق بومبونينا ويدق الباب بلطف بأنامله.) بومبونينا! بومبونينا! يا شمس لياليّ، ويا فرح عيني، وبهجة حياتي، افتحي لخادمك دون ليندو... (عبثاً ينتظر أن يُفتح الباب.) افتحي لي... أرجوك يا بومبونينا! (لحظة أخرى من الانتظار دون جدوى.) أنا أعلم لِمَ لا تفتحين لي. تريدين أن

أنشدك قصائد غزلية. أعلم أنك معجبة بالألحان الليلية والغناء، (يذهب إلى صندوقـه، ويجلب منه عـوداً ويعود إلى صندوق بومبونينا، ويغني لاصقاً فمه بالباب تقرباً.)

يا نجمة حبّي

وياحورية غرامي...

خوان: (مـوارباً باب الصندوق، يغني بلهجة ساخرة.) كو، كو.

د. ليندو: (يقطع الغناء فجأة غاضباً أشد الغضب وهو ينظر إلى صندوق الأبله.) يا لك من مغفل!.

خوان: (يخرج بسرعة من صندوقه ويصل إلى حيث دون ليندو، تعلو وجهَه هذه المسحة الأبدية من البلاهة والخبث، رافعاً تلقاء رأسه يديه كلتيهما مقلداً بالإبهامين شكل قرنين). كو، كو.

د. ليندو: (يقبض على العود ويهدّده به). يا بليد الذهن! إن لم تذهب من هنا...

خوان: (يتحاشى الضربة ويهرع إلى صندوق مينغو ريبولغو،

موحياً بالإشارات إلى أن بومبونينا داخله).
كو، كو. (يقلد شكل القرنين أمام دون ليندو).
كو، كو.

دون ليندو: (وقد تملكه الشكّ والألم العميق الذي يمكن أن يعبر عنه وصيف دمية). أيكون صحيحاً؟ ... أحقاً ما يريد أن يقوله لي هذا المغفل؟ (مقترباً من صندوق محبوبته). بومبونينا! بومبونينا! (يلقي بالعود، ويخرج من جيبه مفتاحاً ويضعه في القفل ثم يضغط الجرس الجانبي ويفتح الباب. يتراجع يائساً حين يرى الصندوق فارغاً). ليست داخله!.

خوان: (إلى جانب صندوق ريبولغو). كو، كو.

دون ليندو: (يقبض بيده اليمنى على السيف الصغير ويتجه غاضباً صوب الأبله). أنت أحمق!.

(يهرع خوان إلى صندوقه ويدخله على عجل مطبقاً الباب إطباقاً تاماً تقريباً).

د. ليندو: (يصل صندوق خوان). يا أبله!.

خوان: (من داخل صندوقه واضعاً فمه على فرجة الباب). كو، كو. (يطبق الباب تمام الإطباق، ويسمع صرير قفل).

د. ليندو: **(أمام صندوقه الأبله، متحرياً قبضة سيفه).**

يا أحمق! سأقضي عليك، يا دمية، يا فزاعة! وليصنع بيغماليون أحمق آخر غيرك. **(يذهب إلي أمام صندوق مينغو ريبولغو).** بومبونينا! أنت هنا. نعم، أعلم ذلك. لا أعدم أبداً أحمق خبيثاً ينقل إليّ الأخبار السيئة. أحلّفك بحياتك وحياتي، اخرجي! **(يضرب الباب ضرباً وقد مليء غضباً وحزناً).** بومبونينا! أتخونين وصيفك! أتخونينه مع مينغو ريبولغو! مع هذه الدمية الكريهة القذرة والسمينة المضحكة! كل ذلك لأنه يملك بعض النقود وبعض الحجارة الكريمة البراقة. **(يستلّ سيفه).** افتحي، بومبونينا! افتحي! إني أتألّم ألماً شديداً يا بومبونينا!

(يبكي مغطياً وجهه بيده الحرة، في هذه اللحظة، يخرج لوكاس غومث دون أن يلحظه دون ليندو، ويسير متبختراً ببطء حتى وسط المسرح ويجلس، ويخرج غليوناً وجراباً صغيراً، يخرج التبغ من الجراب ويملأ به الغليون على شكل متعثّر، ملتقطاً من الأرض ما يسقط منه).

لوكاس: (يغنّي بينا يتأمل غليونه ويكبس التبغ فيه بإصبعه).

فليطردْ دون آمبروسيو

وليطرد النقيب،

وليطرد دون بيرناردو،

وكذلك دون (غرام).

دون ليندو: (ينتفض انتفاضة وقد فاجأه وجرحه غناء دون لوكاس غومث). ماذا تصنع هنا؟.

لوكاس: كما ترى، أدخن غليوني.

د. ليندو: سأنقل ذلك إلى بيغماليون.

لوكاس: وأنا سأضربك على رأسك بالغليون.

د. ليندو: أنت مزعج وأحمق دائماً!.

لوكاس: اذهب واعزف على الغيتار مرة أخرى أمام بومبونينا، ولا تكن جلفاً.

د. ليندو: الذنب يقع على عـاتق أوردِمـالاس الذي علّمك تدخين الغليون.

لوكاس: بالطبع! ذلك لما سرق في فيلادلفيا هذا الغليون وهذا الجراب اللذين نسيهما مبدلُ المشاهد على خشبة المسرح.

لوكاس: لأنك تأمرني، سأنصرف. أنت تدفعني إلى الضحك دون رغبة مني! (**يبحث في جيوبه كلها**). وداعاً! لا كبريت لديّ! اذهب وابحث لي عن كبريتة، لا شك في أن أوردِمالاس عنده منها. اطلبها منه.

د. ليندو: (**مشهراً سيفه**). سأطعنك طعنة نجلاء!.

لوكاس: أخشى سيفك خشيتي سيف برناردو.

د. ليندو: (**مقترباً منه**). اذهب! أو لا أضمن السيطرة على نفسي. اذهب!.

لوكاس: لا رغبة لي في الذهاب.

د. ليندو: أريد أن أكلم بومبونينا على انفراد ودون شهود.

لوكاس: وأنا أريد أن أدخّن غليوني كما أهوى.

د. ليندو: (**يقرب طرف السيف من وجهه**). أخرجْ من هنا أو أطعنك!.

لوكاس: (ناهضاً عن الأرض ومتجنّباً طرف السيف). سأكيد لك مكيدة خبيثة، لا تنسَ أن اسمي لوكاس غومث وأفسد الأمور بسهولة بالغة.

د. ليندو: لقد فقدت عقلك.

لوكاس: بل أنت من سيفقد عقله عند أول صدمة صغيرة. قال لي أوردِمالاس أنك الوحيد بيننا الذي له شعر مستعار.

(يقفز بسرعة منحّياً صفحة السيف، وينزع شعر دون ليندو المستعار عن رأسه، ويحتفظ به في يده. يُفاجأ الوصيف بالمناورة والقفزة غير المتوقعة. يتخلى عن سلاحه ويضع يديه فوق رأسه الأصلع والأملس كأنه كرة بلياردو).

د. ليندو: ماذا صنعت؟.

لوكاس: (محركاً الشعر في الهواء). لأجعلك على شفا الانطلاق كيما تسترد بومبونينا. (يشرع في الركض صوب صندوقه). بومبونينا! بومبونينا!.

(يدخل الصندوق ويحتبس فيه).

د. ليندو: (يلتقط سيفه ويندفع هائجاً حتى صندوق لوكاس غومث). يا أعور! يا قبيح! يا سافل! سأنزع عينك الأخرى. (يطرق الباب بمقبض السيف). افتح يا جبان، افتح!.

خوان: (يطلّ للحظات برأسه من باب الصندوق ويضحك ناظراً إلى الوصيف ويشير إليه إشارات ساخرة ويطلق صفيراً). كو، كو.

د. ليندو: (ينطلق كالمجنون حتى صندوق الأبله). أنت مرة أخرى، يا مغفّل!.

لوكاس: (يفتح الباب موارباً ويخرج الشعر المستعار ويحركه أعلى الباب كأنه راية نصر). بومبونينا! بومبونينا! اخرجي وانظري! (يعود دون ليندو إلى صندوق لوكاس غومث وقد طار عقله. فيصفق هذا الباب في وجهه).

د. ليندو: (يرفس الباب ويدقه بالسيف). سأبقر بطنك!.

العم باكو: (الذي يخرج من صندوقه دون أن يغلق الباب ويذهب إلى صندوق دونديـنيلا ويتوقف عند رؤية

دون ليندو). تأدّبْ، يا رجل! ولا تصرخ كثيراً. خفف من صراخك، ذلك خير لك! (يُدهش عند رؤية جمجمة الوصيف اللماعة الخالية من أية شعرة).
الله! أنت هكذا، إذاً؟! خا، خا، خا! ...

د. ليندو: وأنت أيضاً؟.

العم باكو: (بحذر ولطف عند رؤية صفحة السيف عارية).
معذرة، دون ليندو، معذرة! ذلك أني ... (يضحك مرة أخرى دون أن يستطيع كبح نفسه). خا، خا، خا. ما أشبهك بتلك الدمية الصينية التي صنعها بيغماليون ...

د. ليندو: (يقاطعه خابطاً الأرض بغضب. فترن في جوفه الحبال المعدنية والنوابض). كفاكم!.

العم باكو: لكن، ما هذا؟ وأين شعرك؟.

دونديينيلا: (تخرج نصف رأسها من باب الصندوق). إيه! أنت! عم باكو، عم باكو ...!.

العم باكو: أنا آت! آت. (يسير باتجاه صندوق دونديينيلا دون أن يرفع بصره عن دون ليندو). ما أقبح هذا المنظر!.

دونديينيلا: مما كنت تضحك؟ تضنّ عليّ بالكلام وأنا بانتظارك

منذ ساعة. (**تمعن النظر إلى الوصيف**). غريب! دون ليندو أصلع؟! (**مطلقة قهقهة صاخبة**). خا، خا، خا! ليت بومبونينا تراك!.

دون ليندو: طفح الكيل!.

العم باكو: (**لدونديينيلا**). كفى، يا جوهرتي، يا جميلتي كفى! ... ولا تضحكي قوياً جداً.

دون ليندو: يا صعلوكة!.

العم باكو: اهدئي! ولا نغلط بحق بعضنا بعضاً! هيا، يا عنوان الجمال، دعيني أدخل! ولا تضحكي كثيراً، ولا تسعي إلى إغضاب صاحبنا الأقرع.

(يدفع دونديينيلا ويدخل الصندوق ويغلق الباب. ضوضاء قوية. تسمع داخل الصندوق قهقهاتهما مختلطة ببعضها).

دون ليندو: أأكون أضحوكة ومسخرة، وبومبونينا تحتبس مع مينغو؟ ولعلها تسمح له دون تقزز بأن يداعبها بيديه الضخمتين الغليظتين! شناعة أي شناعة! إذا لم أدعُها، إذا لم أسعَ إليها وأحطم صندوق مينغو، وإذا لم تخرج

بومبونينا، فسوف يقتلني الغيظ والحزن. وإذا خرجت فسوف تقتلني السخرية مني والهزء بي. لا شك في أني صرت مخيفاً! اللعنة على لوكاس غومث وعلى بيغماليون الذي أبدعه نشيطاً، وجعلني خرعاً ضعيفاً! أوه! كل ذلك يدعو إلى الغيظ ... ! يدعو إلى الغضب أن أكون عارضة أزياء لأستطيع التمتع إن لزم الأمر، بشعر مستعار جميل، وأردد كل حياتي في التمثيل كلمات يقولها رجل آخر، وأرتبط مدى الدهر بإنسان بغيض. آه! أنا غاضب غاضب. اللعنة على أوردمالاس المؤذي الذي يقع عليه الذنب بإعلامه المشوّه لوكاس غومث إنْ كنت أضع أو لا أضع شعراً مستعاراً. يا للثأر! يا للثأر! وسوف أبدأ تصفية الحساب مع أوردمالاس.

(يذهب إلى صندوق أوردمالاس ويدق عليه راكلاً الباب بقدميه).

أوردمالاس: **(مطلاً برأسه من وراء الباب)**. من الطارق؟ آه! أهذا أنت. لكن، ماذا صُنع بك، يا رجل! ما معنى هذا؟.

دون ليندو: اخرج. سوف أقول لك.

أوردمالاس: بسرور كبير. (**يخرج من الصندوق.**) هيا، قلْ لي. لكن، كم صرت هُزْأة! احذر ألا يراك أحد بهذا الوضع!.

دون ليندو: (**ممسكاً بتلابيب أوردمالاس بيده اليسرى، وقابضاً على سيفه بيده اليمنى**). أأنت قلت لهذا الخنزير لوكاس غومث إني أضع شعراً مستعاراً؟

أوردمالاس: (**ببرود ومكر وبلهجة طبيعية جداً ولطيفة**). أنا؟ ... أنا لم أقل له شيئاً.

دون ليندو: هو قال لي ذلك.

أوردمالاس: لقد سخر منك مرتين.

دون ليندو: من عساه قال له؟ أنت وحدك كنت تعلم، بمصادفة...

أوردمالاس: كان بيروغرويو الذي علم البارحة بالمصادفة كما علمت أنا، فنقل ذلك إلى بيريكيتو إنْترِئياس، وهذا بدوره أخبر لوكاس غومِث بالأمر.

د. ليندو: وكيف يمكنك أن تثبت لي ... ؟ .

أوردِمالاس: كنت تنظم شعرك، لحظة ...

د. ليندو: أحتاج قبل كل شيء، إلى أن يقع لوكاس في يدي .

أوردِمالاس: سيقع! كن واثقاً بحيلتي! أنا لا أشعر بودّ نحو هذا الأعور القذر . **(قافزاً قفزة صغيرة)**. أتسمع؟ اذهبْ كيلا يراك أحد .

د. ليندو: ماذا هناك؟ .

أوردِمالاس: ضجّة في صندوق مينغو ريبولغو .

د. ليندو: صندوق مينغو! يا خوفي! أنا ذاهب ركضاً . بومبونينا هناك! لو خرجت ورأتني ... ! .

أوردِمالاس: **(يتصنّع غضباً ودهشةً كبيرة)**. بومبونينا! يا للمسكين دون ليندو! .

د. ليندو: **(يندفع صوب صندوقه)**. عجباً أنك غير مطلّع على الأمر! .

(يدخل سريعاً وقد أغمد سيفه وصفق الباب وراءه. تخرج بومبونينا من صندوق مينغو حاملة صرة

في يدها اليمنى وعقداً من الحجارة الكريمة في يسراها).

أوردِمالاس: كيف حالك، يا بومبونينا؟ .

بومبونينا: حسن جداً، يا بدور. أيعجبك؟ (تريه العقد). إنه هديّة من مينغو.

أوردِمالاس: جميل جداً! جميل جداً.

بومبونينا: له بريق شديد. أليس كذلك؟ .

أوردِمالاس: (مبتسماً). هائل! .

بومبونينا: لِمَ تبتسم؟ .

أوردِمالاس: لا لشيء. هذه عادة لي.

بومبونينا: أتحسب أننا نستطيع الهرب أخيراً، من هذا المكان؟ .

أوردمالاس: لا أدري، من اللازم مسح المسرح وفحصه جيداً إلى أن نجد مخرجاً مأموناً.

بومبونينا: منذ نصف عام، ونحن عازمون على الانفصال عن بيغماليون، ولم نجد في أي مسرح من المسارح فرصة ملائمة.

أوردمالاس: هي مسألة صبر. سيكون أسوأ لنا لو هربنا وقُبض عليناعفوراً. بيغماليون ذكي جداً.

بومبونينا: أنت أذكى منه.

أوردمالاس: هذا لطف منك. سأتحرّى هذا المسرح جيداً. إلى أين ذاهبة الآن؟.

بومبونينا: لأضع هذه الحليّ في صندوقي، وأصلح الجفوة بيني وبين دون ليندو الذي أثار انقباضاً فيّ منذ قليل.

أوردمالاس: آه! رأيته منذ لحظة. المسكين غيور جداً ومكتئب.

بومبونينا: سأهدّىء من روعه فوراً بمداعبة.

أوردمالاس: لا شك في ذلك، هو هنا في صندوقه. (**يرفع سبابته ويشير بها**). هو منطوٍ على نفسه انطواء كاملاً.

بومبونينا: مسكين! أنا أحبه كثيراً. لو كان أكثر فرحاً، وأقل غيرة، لكان محبوباً للغاية.

أوردمالاس: بالطبع، بالطبع! هو مفرط في غيرته، تنقبض نفسه لأتفه سبب.

بومبونينا: هو رومانسي.

أوردمالاس: نعم، هو رومانسي. اسمعي.

بومبونينا: ماذا؟.

أوردمالاس: قبل أن تري وصيفك، اطلبي إلى لوكاس غومث أن يعلمك شيئاً.

بومبونينا: آي، كلا! أنا أنفر منه، وتفوح منه رائحة التبغ.

أوردمالاس: لحظة واحدة لا أكثر. ولن تندمي عليها، ولسوف يعطيك شعر وصيفك.

بومبونينا: (خائفة). كيف؟ أحدث شيء لوصيفي؟.

أوردمالاس: لا، يا حمقاء، حلاقة شعر بسيطة.

بومبونينا: حلاقة؟ من حلق له شعره؟.

أوردمالاس: حظه الرديء. هو تعيس جداً.

بومبونينا: لا، لا، بل هو أنيق جداً.

أوردمالاس: أبداً، هذا لا يجعله جميلاً. وهو فوق ذلك، ليس بهذه الأناقة.

(تُسمع ضوضاء).

بومبونينا: (**بخوف**). لعلهم بشر! .

أوردمالاس: نعم؛ بحياة... ! يجب أن تذهبي.

بومبونينا: وفوراً.

(تنطلق مسرعة، واضعة الصرة والعقد داخل عبها وتدخل صندوقها مطبقة الباب. صوت جرس ضعيف. يمكث أوردمالاس لمدة ثوانٍ متنصتاً).

أوردمالاس: من الملائم جداً أن أذهب. **(يذهب إلى صندوقه ويلاحظ فجأة صندوق العم باكو مفتوحاً وشاغراً).** العمى! هذا الرجل التافه خرج من صندوقه ناسياً أن يغلق الباب. دميةشجاعة وأي دمية! كل ذلك من أجل أن يورطنا جميعاً! **(يغلق الصندوق بحرص شديد كيلا يحدث ضوضاء، ويقصد صندوقه ناظراً حوله بحذر).** بومبونينا هذه... ، تزداد كل يوم جمالاً ... هذا مخجل لي أن لازلت دون... **(يدخل صندوقه ويغلق الباب بسرعة).**

المشهد الثاني

الدوق والبواب الذي يتقدم حاملاً مصباحاً، يظهران من حيث خرجا، أي من الجانب الأيسر- البعد الأول.

الدوق: وأخيراً! ظننت أن هذه اللحظة لن تأتي أبداً.

البواب: (**ينظر خائفاً إلى كل جانب، وتعتريه رعدة في يديه وساقيه.**) وكيف سنفتح الصندوق يا سيدي الدوق؟.

الدوق: ها هي محفظة بيغماليون. (يريه إياها). والمفتاح داخلها. (**يخرج المفتاح الصغير**). إليك المحفظة.

البواب: (**يأخذ المحفظة ذاهلاً**). وماذا أصنع بها، يا سيدي الدوق؟.

الدوق: أعدْها سليمة إلى بيغماليون، وقل له: سرقها منه هذه الليلَة بأمرمني، نشّال مشهور مدين لي جداً لأنني

حميته وأخرجته بريئاً منذ بضع سنين. أرسلتِ إليه رسالة لما خرجنا من هنا.

البواب: (**يحفظ المحفظة في جيبه الداخلي**). أول ما أفعله صباحاً، أسلّمها للسيد بيغماليون كما سلمتنيها، سيدي الدوق. والآن؟.

الدوق: (**يذهب إلى صندوق بومبونينا**). الآن، سآخذ هذه الدمية السماوية.

البواب: (**تصطكّ أسنانه بعضها البعض ويرشّ أرضية المسرح بضوء المصباح الذي يتراقص في يده مرتعشاً**). عليك بالحذر الشديد، سيدي الدوق. أنا في الحقيقة خائف.

الدوق: أنت تخاف دمية!.

البواب: يخيل إليّ أني سمعت الصناديق تُفتح والدمى تتكلم وتغني.

الدوق: حقاً، أنت رجل ذو خيال خصب!.

البواب: (**مذعوراً**). إزاء شخوص حية، أفعل ما يريده السيد الدوق مني. لكني إزاء الأموات والأشياء السحرية والميكانيكية، لا أستطيع عمل شيء.

الدوق: إذاً، انصرف، انصرف.

البواب: إذاً، بالإذن منك سيدي الدوق... أترك لك القنديل هنا.

(يضعه على الأرض ويخرج من حيث دخل كروح يحملها الشيطان.)

الدوق: من الخير أن يذهب. **(يقف أمام صندوق بومبونينا.)** وأخيراً، سأتثبّت مما هي، سواء أكانت امرأة أم دمية، وهماً أم خيالاً فسوف آخذها. **(يزداد قرباً من الصندوق).** فلم يخطر ببال أحد في أيّ ركن من أركان الأرض سحر يماثل بومبونبنا المحبوبة لا في قاع البحار ولا في القصور التي شيدها البشر. **(يضع المفتاح في قفل الصندوق).** يخيّل إليّ أن قلبي سيتحطم! **(يدع المفتاح ويضع يديه على صدره).** إني أختنق من الانفعال اعليّ بالشجاعة! عما قريب سأراها وحيداً! **(يدير المفتاح ويتلمّس بيده أطراف الصندوق).** ها قد عثرت عليه! لا شك في أنه الزرّ الذي يُفتح به الصندوق. **(ضاغطاً عليه).** سنجرّب. **(يُفتح الباب بعنف، وتظهر بومبونينا داخله).**

المشهد الثالث

الدوق وبومبونينا

الدوق: إنها هي! يا للجمال الباهر! (يناديها بصوت خفيض.) بومبونينا! بومبونينا! ألا تجيبينني! (يرفع المصباح عن الأرض ويضيءالصندوق). سيدتي، سيدتي الدمية، أو كائناً من كنت... ألا تخرجين، يا سيدة؟.

بومبونينا: (تخرج من صندوقها، ولا تزال تحمل في يدها العقد الذي أهداه إليها مينغو). أين بيغماليون؟.

الدوق: فليتخبّطْه الشيطان! جئت وحيداً.

بومبونينا: ومن أنت؟.

الدوق: دوق ألدوركارا.

بومبونينا: وكيف جئت وحيداً إلى هنا؟ هي أول مرة أرى ناساً دون حضور بيغماليون.

الدوق: لا تذكري لي بيغماليون. أنا أبغضه!.

بومبونينا: وأنا أيضاً! وكلنا جميعاً، ووصيفي دون ليندو أشدنا بغضاً له.

الدوق: لكن، حضرتك، أو أنت أو ما تشائين أن تُسمّي... من أنت يا علْوية الجمال؟

بومبونينا: بومبونينا يا رجل. ألم تر اسمي على الصندوق؟.

الدوق: لكن، من أنت؟ أأنت امرأة، أم دمية، أم حلم، أم شبح أو ماذا؟.

بومبونينا: أنا بومبونينا!.

الدوق: أنا أعبدك.

بومبونينا: هذا عين ما يقوله لي بيغماليون ووصيفي.

الدوق: لا تذكري لي أحداً. أنت وحدك همّي وغايتي.

بومبونينا: هذا ذات ما يقوله دون ليندو، ذاته.

الدوق: دون ليندو! اللعنة على هذا الوصيف.

بومبونينا: آي، كلا! دعك منه. فقد نُزع الشعر عن رأسه الآن، إذا رأيتُه سأنبعث في الضحك. ولا أدري إن كان سيخبو الحب الذي أكنّه له بسبب ذلك.

الدوق: وكيف تحبّينه؟ أنت أعجوبة اللطف والأناقة، تقعين في حب هذه الدمية؟ .

بومبونينا: أحبه حقاً.

الدوق: تحبين دمية! .

بومبونينا: وأنا، ماذا أنا؟ .

الدوق: إذاً، سأحطّم هذه الدمية- الرجل.

بومبونينا: يا للمسكين! لن تفعل به ذلك.

الدوق: أنا أريدك لي وحدي خالصة. جئت لأخطفك.

بومبونينا: يا خوفي منك! .

الدوق: لا تخافي! أنا أحبك بملء روحي.

بومبونينا: هذا زعم. أنا راغبة في أن يخطفني أحد ما.

الدوق: أنا أملك ملايين كثيرة، وقصوراً عديدة، وجياداً لا تُحصى، وعربات وجواهر كثيرة.

بومبونينا: أهي جميلة مثل جواهري هذه؟ .

(تريه عقد الماس).

الدوق: أرنيه! هاتيه!.

بومبونينا: (**تسحب العقد**). لن أضعه بين يديك.

الدوق: بومبونينا، من أنا في نظرك؟.

بومبونينا: أنت رجل. حسن! انظر إليه، لكنني لن أفلته من يدي.

الدوق: (**يفحص العقد**). هي حبات من الزجاج.

بومبونينا: لا، بل هي ماسات.

الدوق: هي من البلور، ومن النوع العادي.

بومبونينا: (**خائبة الأمل**). وهذا ذو قيمة أدنى، أليس كذلك؟.

الدوق: هذا لا قيمة له.

بومبونينا: اللعنة على مينغو! سترى بعينك ماذا سيحل به.

(**تتجه غاضبة إلى صندوق مينغو**).

الدوق: (**معترضاً طريقها**). لا تذهبي! بحق الله، دعيه! لا تبالي! سأشتري لك خير حجارة كريمة في الدنيا. سآمر بأن تُصنع لك عربات من ذهب وفضّة، وسيارات كهربائية صامتة، ذات مقاعد من الإبنوس وأغصان

الورد. وسيكون عندك ألف خادم، وستكونين حرة وملكة على العالم.

بومبونينا: **(مصفقة)**. آي! ما أحسن ذلك، ما أحسن ذلك كله! أحقاً سيتمّ ذلك كله؟.

الدوق: خلال ساعات معدودات ستكون ثروتي كلها ملك يديك.

بومبونينا: إذاً، خذني!.

الدوق: تعالي! **(يمسك بها من يدها متأثراً)**. تعالي!.

بومبونينا: ألن تسمح لوصيفي دون ليندو، بأن يرافقني؟.

الدوق: **(بازدراء عنيف)**. ولا بشكل من الأشكال. أأنت مجنونة؟ أنا أريدك لي وحدي، وحدي.

بومبونينا: وإذا سئمتك؟.

الدوق: سأقتل نفسي.

بومبونينا: جيدٌ، هكذا! لكنك لن تلحق بي أذى. أليس كذلك؟ لأن الآلة التي تحركني دقيقة جداً.

الدوق: بومبونينا، ما أبرأك! انظري. **(مشيراً إلى قاع**

المسرح). خلف هذه الستائر نافذة منخفضة جداً تطل على الشارع. سنقفز منها لئلا يرانا عمال بيغماليون الذين يرقدون في الكواليس.

بومبونينا: آي، نعم. لا عقبات أمامنا! هم مجموعة سكارى.

الدوق: تعالي! تعالي! **(يفلت يد الدمية، ويسحب الستائر بين صندوقي بومبونينا وكورينا. تبدو للنظر نافذة عالية)**. هيا بنا! تعالي!.

بومبونينا: سآتي! سآتي! ولا تخدعني. أنت تعلم ما قلته: قصور، جواهر، عربات من فضة وسيارات من أعواد الورد. من أجل ذلك أذهب معك.

الدوق: سأشتري لك العالم كله، تعالي. تعالي.

بومبونينا: سأذهب! سأذهب! كم سيغضب بيغماليون! **(تصفق مرة أخرى)**. يفرحني أن يغضب. فليغضبْ. وبذلك لن يعاقبني بحرماني من الزهور.

(تدنو من الدوق الذي يفتح النافذة بحذر ويقفز. يفتح خوان الأبله بابه أكثر مما ذي قبل دون أن يلمحه أحد).

الدوق: (من خلف النافذة ماداً يديه لبومبونينا). تعالي يا روحي، تعالي.

بومبونينا: (ممسكة بيدي الدوق). أهي واطئة حقاً؟.

الدوق: كما ترين.

(تقفز بومبونينا معتمدة على الدوق. صارت في الشارع وراحت تنظر إلى صناديق الدمى الذكور).

الدوق: هيّا بنا، يا حبي، هيا بنا.

بومبونينا: (خلف النافذة، يُرى منها جذعها فقط وكذلك الدوق مثلها). حرّة! حرة! أنا صرت حرة! كم ستغضب بعض الدمى إذا علمت بهربي! (تودّع ملوّحة بيدها كأنها طفلة). وداعاً! وداعاً! وداعاً لكم جميعاً!.

(يطوقها الدوق بذراعه برقة ويأخذها. يُسمع صوت منبه سيارة جاف وخشن، ثم شخير السيارة. بعد ذلك يسود الصمت).

خوان: (يطل برأسه والخوف بادٍ على وجهه ويصفر بنغمة خائفة مذعورة). كو، كو، كو، كو، كو كو. (يخرج خارج الصندوق، ويراقب ويتنصت حذراً ويصرخ من جديد). كو، كو، كو.

المشهد الرابع

الدمى جميعاً. ضوضاء معدنية. من صندوق دونديـنيـلا يظهر معاً رأس هذه الأخيرة ورأس العم باكو. ومن صندوق ماريلوندا يظهر رأس هذه ورأس بيريكيتو معاً. الدمى الأخر ذكوراً وإناثاً تطل أيضاً، وتنظر إلى كل جانب وتخرج ببطء.

خوان: (واقفاً إزء الدمى الذكور مشيراً إلى صندوق بومبونينا المفتوح والفارغ، ثم إلى النافذة مقلِّداً بالإيماء الهرب، ويصرخ مرة أخرى بصوت شاكٍ). كو، كو، كو، كو، كو.

دون ليندو: (بيأس.) لقد هربت بومبونينا.

(تنصبّ نظراتهم جميعاً على دون ليندو وتنطلق قهقهاتهم).

جميعاً: خا، خا، خا ...

د. ليندو: (مغطياً رأسه بيديه). بحياة ... ! أنستني المصيبة أن أضع شعري المستعار ليس الوقت وقت ضحك ! .

ماريلوندا: قُلع شعره ! خا، خا، خا.

د. ليندو: (مهاناً، لماريلوندا). كان خيراً لك لو سرّحتِ ضفائرك يا مغفلة بدلاً من أن تضحكي.

ماريلوندا: (لبيريكيتو وهي تسرح الذوائب الأمامية). أترى؟ كل ذلك لكونك معي في الصندوق ولا تعرف أن تنبهني. لشد ما تسبب لي الخجل دائماً ! .

لوثيندا: (مشيرة إلى الوصيف بإصبعها). ما أقبح منظره ! .

كورينا: ما أبشع هيئته ! .

دونديبيلا: (تشير إليه أيضاً وتغنّي ساخرة). أقرع ! .

كلهم جميعاً: (بصوت واحد). أقرع، أقرع، أقرع ! .

(يضحكون).

دون ليندو: حمقاوات ! لا يهمني الآن شيء سوى بومبونينا. لكني سأجازي على الشر بالشر منذ اليوم.

لوكاس: (يرفع الشعر المستعار ويحركه في الهواء). لا تفعل يا رجل، لا تفعل! خذه! بغياب بومبونينا، لست بحاجة إليه أبداً. لشد ما كنت أفكر في أن ألهو بك! خذ! .

(يرمي بالشعر إلى دون ليندو، ويخطىء الهدف فيصيب العم باكو في جبينه).

العم باكو: (**للوكاس غومث**). مالك، يا صديق! عليك أن تحسن التسديد بعد اليوم. أنا لا أقبل شعر أحد، وإن يكن مستعاراً.

النقيب: كفى! هذي هي فرصتنا للهرب! .

أوردمالاس: حقاً، هي فرصتنا! وأخيراً، واتتنا الفرصة للتحرر ثم نضيع وقتنا بالخصام.

النقيب: يقيناً. فلنهرب.

الدميات: (**بصوت واحد**). الحرية! الحرية! .

خوان: (**يقفز مبتهجاً غاية البهجة**). كو، كو، كو، كو.

بيروغروبو: اسكت، يا أحمق! من سيقوم مقام بيغماليون في إدارة أمورنا؟ .

مينغو ريبولغو: أنا أتكفّل بإدارتكم وعرضكم على مسارح العالم.

دون ليندو: تتبجّح كأنك تملك موهبة بيغماليون.

م. ريبولغو: من أجل ذلك سأعتمد على مشورة مستشاري أوردمالاس.

بيروغروييو: وأنا، ماذا أكون؟ أيمكن الاستغناء عني في هذه الحكومة؟.

أوردمالاس: (مخفياً بسمة). ولا بأي حالٍ من الأحوال. ستكون رجلنا الدبلوماسي وممثّلنا لدى البشر. أنت محشوٌّ كرامة ولا تخطىء السبيل أبداً.

بيروغروييّو: صدقت، يعجبني جداً أن أجد من ينصفني.

أوردمالاس: هيا! ولا نضعْ مزيداً من الوقت.

النقيب: هذا هو القول السليم. سأرتّب عملية الهرب في الحال، وأشجعكم جميعاً.

خوان: (مسروراً جداً). كو، كو، كو، كو.

النقيب: (يستل سيفه من غمده ويلوح به في الهواء). تعالوا هنا، واسمعوا وعوا.

(يظل قابضاً على السيف بيمناه، ويلتقط من الأرض بيسراه المصباح الذي خلفه البواب ويتأمله بإمعان . تحيط به الدمى ذكوراً وإناثاً، يومىء مرة بالسيف ومرة أخرى بالمصباح). أكلّمكم باسم منفعتنا وباسم أكثر مصالحنا قدسية .

أوردمالاس: (يصل قريباً من النقيب). سنرى إن كنت ترقى إلى مستوى الظروف .

النقيب: أنا أرقى دائماً إلى أعلى المستويات، بعيداً عن أشكال الجبن المبتذلة . اسمعوا .

(يضيقون الحلقة حوله).

أوردمالاس: (يهمس في أذن النقيب). اختصر! .

النقيب: نعم، نعم، انظروا جميعاً بإمعان إلى هذه النافذة . (يلتفت ويشير بسيفه إليها). دقّقوا النظر جيداً . (تنظر الدمى - الذكور إلى النافذة). خلف هذه النافذة نهاية عبوديتنا .

بيروغرويو: (متقدماً خطوة ورافعاً ذراعه). وبداية حريتنا! .

أوردمالاس: صدقت وأحسنت .

النقيب: خلف هذه النافذة تكمن السعادة الحرة، والرقص الحر، والإحساس الحر... وكل شيء حرا.

أوردمالاس: (**بصوت خفيض للنقيب**). لا تستطرد واختصر.

النقيب: (**لإوردمالاس باللهجة ذاتها**). سأفعل، سأفعل! (**يرفع صوته**). الهرب، الهرب هو، هو، هو، هو

بيرغرويّو: الهرب هو الفرار.

النقيب: لا فُضَّ فوك، يا بيرغرويو. وأشكر لك مساعدتك، الهرب هو الفرار، والفرار هو التمتع بحياة جديدة بعيداً عن الطاغية بيغماليون.

أوردمالاس: (**يشده من كمّه**). أقول لك: اختصر يا رجل.

النقيب: (**لأوردمالاس**). سأفعل، سأفعل. (**مرة أخرى بصوت عالٍ**). خذ أنت يا بيرناردو. (**يعطيه المصباح**). خذه.

بيرناردو: أنا؟.

النقيب: نعم، أنت، نعم.

بيرناردو: (**يأخذ المصباح**). يا ساترا.

النقيب: ستقفز أنت أولاً من هذه النافذة، وإذا وجدت عائقاً، فسوف تزيحه بسيفك.

بيرناردو: (بشيء من الاضطراب). السيد النقيب آرانيا، ربما لست جديراً بشرف السبق في أن أكون أولاً.

النقيب: (باقتناع كامل). نعم، أنت جدير به، يا بيرناردو الكبير، جدير به.

بيرناردو: (بوجه حزين والمصباح في يده). أظنك مغالياً. أليس كذلك، يا عم باكو؟.

العم باكو: أنا لا شأن لي بذلك، كل ما أريده أن نهرب فوراً.

النقيب: لستُ مغالياً يا بيرناردو. يجب أن تتقدّمنا شاهراً سيفك المشهور. وسوف يتبعك آمبروسيو ببندقيته الجاهزة للإطلاق، والقزم بتنبؤاته.

الفزّاعة: ربما لسنا أرفعكم مقاماً ولا أكثركم جدارة.

أوردمالاس: ولِمَ لا؟ نعم، أنتم كذلك.

النقيب: لا شك في أنكم كذلك. ينبغي لكم أن تتخلّوا عن تواضعكم الفطري، وأن تقرّوا بعظمتكم التي نفحكم

بها بيغماليون. (**يفتل طرف عثنونه بيده التي كان يمسك بها المصباح، ويؤكد على خطابه بالرمح**).
ما أسعد أولئك الذين أولاهم القدر رسالة البطولة السامية! أنا أغبطكم جميعاً، أنت وإينانو والشجاع آمبروسيو، لأنكم منذورون للخلود.

بيرناردو: يا لطيف الألطاف!.

النقيب: اذهبْ بيرناردو، اذهب، واتبعه أنت يا آمبروسيو، والحقْ بهما أنت يا فزّاعة السوق المشهورة! انطلقوا، أنتم الثلاثة، انطلقوا.

جميعاً: نعم، انطلقوا، انطلقوا.

النقيب: (**لبيرناردو الذي قتم وجهه، ويمعن في النظر إلى المصباح**). انطلق، هيّا انطلق! لسبب ما سُمّيتَ بيرناردو.

بيرناردو: (**بكآبة**). حقاً، لسبب ما سميتُ بيرناردو.

أوردمالاس: أمر يوجبه النبل عليك!.

النقيب: لشد ما يوجبه! هيا، هيا إلى النافذة يا بيرناردو، وأضىء الشارع وحذّرنا إن كان الطريق خالياً من العوائق.

بيرناردو: (**يستل سيفه الضخم، وقواه الخائرة أيضاً، ويضع المصباح على الأرض**). الضوء يعرضني للخطر، لذلك أفضل الظلمات.

النقيب: وأنتما: آمبروسيو والقزم، سيرا في ركابه.

آمبروسيو: (**يرفع بندقيته عن كتفه محزوناً، ويؤمّن الزناد**). حسن! سنسير ولا حيلة لنا.

الفزّاعة: (**محركاً نبّوته**). لابد لأحدٍ من أن يخاطر بنفسه أولاً.

النقيب: (**ببلاغة كبيرة رافعاً سيفه عالياً جداً**). أنتم تخاطرون في سبيل عرق الدمى كله! لطالما سمعنا بيغماليون يردد: نحن بداية عالم قادمٍ أفضل. تصوروا المكانة التي سيحفظها لكم التاريخ غداً!

لوثيندا: سنصنع لكم تيجاناً.

الدميات الثلاث الأخريات: (**بصوت واحد**). تيجاناً كثيرة، كثيرة. عاش الأبطال.

النقيب: ها أنتم أولاء ترون: النساء يثنين عليكم أيضاً.

بيرناردو: (**يتجه ببطء صوب النافذة ملوحاً بسيفه**). هيا بنا!.

آمبروسيو: (خلفه). هيّا!.

الفزاعة: (يشرع في السيردون رغبة خلف آمبروسيو). لكن، دون عجلة، وبحذر.

أوردمالاس: (ساكناً وهو ينظر إليهم سائرين). ما أعظم حظكم!.

النقيب: إنهم ذوو حظ عظيم. وهم ناس نخبة مختارون.

خوان: كو، كو.

بيرناردو: (وقد صار حدّ النافذة ناظراً إلى الشارع). لا أرى شيئاً. (يقفز منها، راسماً بسيفه خطوطاً متعرّجة في الهواء. يلتفت إلى الدميتين مشيراً لهما بأنهما يستطيعان أن يتبعاه ثم يختفي. يقفز آمبروسيوو القزم أيضاً. يلتفتان إلى الدمى الأخرى مشيرين إليهم بالإشارات المطمْئنَة ذاتها ويبتعدان، يختفون جميعاً في ظلمات الليل).

د. ليندو: (يهرع إلى النافذة). وأنا سألتقي بوميونينا.

(يقفز ويذهب).

م. ريبولفو: سيعثر عليها من أجلي.

(يسير إثر دون ليدو ويقفز من النافذة متعثراً).

بيرو غرويو: وأنا أتبعك .-أتبعك ياعزيزي مينغو.

(يقفز على عجل بعد ريبولغو وينطلق راكضاً).

النقيب:(يصل حتى إطار النافذة شاهراً سيفه الأحدب). تعالوا جميعاً، واقفزوا! هيا وبسرعة.

العم باكو: (يقصد النافذة وحيداً). مسألة السرعة قد تكلّفني أجر خيّاط. أنا سمين ولا أستطيع أن أجهد نفسي كثيراً. تعالي يادوندينيلا!.

دوندينيلا: سآتي، سآتي.

(تصل حد العم باكو الذي اجتاز النافذة التي كان تسلّقها بمشقة. وإذ صار في الشارع، مدّ ذراعيه وأمسك بيدي دوندينيلا الصغيرتين، وساعدها على العبور حريصاً على ألا تنشمر تنورتها، فيجذبها إليه ويذهب الاثنان معاً).

بيريكيتو: (يشجّع رفيقاته الثلاث الأخريات). رافِقْنَني. سأساعدكنّ على القفز.

لوثيندا: نعم، ساعدنا.

كورينا: وأخيراً! جاءتنا الحرية!.

ماريلوندا: نعم، آن أوانها!.

بيريكيتو: (**يقفز بخفة من النافذة ويراقب الشارع ويتجه صوب الدميات الثلاث**). تسود الشارع وحدة تامة.
تعالين، ياجميلات، تعالين. سأطوف بكن العالم خيراً من العم باكو مع خطيبته.
(**يساعد الدميات على اجتياز النافذة، كما ساعد العم باكو دونديلا حريصاً أيضاً على تنوراتهن. ويهرب الأربعة فوراً**).

لوكاس: أنا ذاهب الآن. عند أول عقبة سأحذّركم آخذاً بالغناء. أعطياني المصباح.

النقيب: لا مصابيح ولا أغاني. أنت لست بطلاً. انطلق فوراً.

لوكاس: أنا ذاهب يارجل، ذاهب. لا تكن فظاً. (**يقفز من النافذة ويذهب وينادي من الشارع**). الطريق سالكة!.

خوان: (قافزاً خلف لو كاس ، وبصوت خافت) . كو ، كو .

(ثم يختفي).

أورد مالاس: (يقفز إلى الشارع بخفة). وداعاً، يانقيب! .

(ينطلق).

النقيب: (يطل على النافذة) . لا تقل وداعاً! إلى اللقاء سريعاً! .

(يظلّ مطلاً ويفرك عينيه بيده اليسرى ناظراً إلى الجهة التي سلكتها الدمى).

المشهد الخامس

النقيب وأورد مالاس الذي يعود إلى النافذة.

النقيب: (**قلقاً**). ماذا وراءك؟ أحدث طارىء؟ .

أوردمالاس: لم يحدث شيء. حتى أني لا ألمح مصباح حارس ليلي.

النقيب: أرحتني! لماذا عدت؟ .

أورد مالاس: أعلم أنك ستظل هنا و...

النقيب: وكيف أظل في مناسبة كهذه المناسبة؟ هذا يعني أنك تشتمني وتستخفّ بي. أنت وحدك تستطيع تخيل فكرة بهذه الوضاعة.

أورد مالاس: اسكت! ولا تتطاول عليّ بالكلام. أما وأني أعلم أنك ستبقى فأنا كفيل بأن أرسل إليك أخبارنا لكي تنضم إلينا حين تستطيع الهرب دون أدنى خطر.

النقيب: لكن، مالك ياأورد مالاس ... !.

أورد مالاس: انزع الوساوسَ من صدرك. وجودك ينبغي له أن يتحاشى كل خطر يانقيب. لأنه ضروري ضرورة وجودي في المسرح وفي عالم البشر. وداعاً، يانقيب!.

(ينظر بعيداً جهة اليسار، وينطلق من جديد).

النقيب: **(يولي النافذة كتفيه ويستند بإحدى يديه على السيف ويمسّد باليد الأخرى شاربيه وعثونه ويفكر لحظات معدودات).**

أورد مالاس هذا على صواب، إن كان عنده صواب. هو أذكى من شرارة. لا ريب في أني سأبقى هنا! وينبغي لي أن أبقى لأرى الضجة التي ستثار. سيكون طريفاً الاستماع إلى بيغماليون وأرى ما يعتريه حين يكتشف هروب دماه. **(يذهب بهدوء إلى صندوقه)**. إذا أصبح الصباح وذهب عنه الغم، سأخرج وأقول له إنني لم أستطع منع هذا الهروب الإجرامي، وقد ذهب صراخي هباء دون أن يسمعني

أحـد، وأصـبـح بذلك رجله، و«الأوتومـات» الأمين عنده. ستُرفع عني الحراسة، ولن يشتبه فيّ. حـينئذ أستطيع الخروج من هذا المكان بسهولة دون خطر، لأنضمّ إلى رفاقي دون مخاطرةٍ ما كما يليق بنقيب ذي تاريخ مجيد.

(يحتبس داخل الصندوق ويطبق الباب خلفه: ضجة معدنية.. ستار سريع).

الفصل الثالث

داخل بيت بائس لأحد عمال الطرق. كل مافيه للجلوس مقاعد خشبية مسودّة ومستهلكة، وفي إحدى زوايا الجانب الأيمن كرسيان من القش أمام منضدة صغيرة عتيقة من الصنوبر فوقها مصباح مشتعل. باب نصف مغلق في وسط القاع. أربعة نوافذ مفتوحة. اثنتان منها في جانبي المسرح، واثنتان في القاع على جانبي الباب. تطل كلها على الطريق العام. تتدلّى معلقةً على الجدران حدائد للشغل: معازق، شواكيش لطرق الحجارة وبندقية صيد. في الجانب الأيسر باب آخر موارب مفتاحه في القفل، ويتصل بغرف البيت. قرب الزاوية المحاذية للمنضدة مطارق خشبية ثقيلة لسحق الحجارة. الوقت ليل. يدخل من النافذة شعاع القمر الذي يتلألأ خلف النافذة.

قمر بدر مائل إلى الحمرة كأنه مصباح ياباني.

المشهد الأول

بومبونينا جالسة على مقعد معتمدة بمرفقها على المنضدة، وتتأمل وجهها على ضوء المصباح في مرآتها الصغيرة التي تمسك بها بيسراها. يقف الدوق أمام الدمية ويراقبها باهتمام.

الدوق: لا تنظري إلى نفسك كثيراً في المرآة، ياحياتي، ياروحي.

بومبونينا: (تبعد مرفقها عن المنضدة، وتشمر يدها اليمنى تنورتها التي تضيق بها). أريد أن أنظر إلي نفسي.

الدوق: (يراقبها ذاهلاً). أنت الغاية في الجمال. ولا تريني الآن هاتين الساقين الرائعتين. إنني أفقد عقلي ولما تحن المناسبة.

بومبونينا: (تستند بمرفقها إلى المنضدة مرة أخرى وتستغرق في تأمل نفسها في المرآة الصغيرة). أية مناسبة؟.

الدوق: لا تبالي! يسرني أن تكوني بهذه البراءة.

بومبونينا: أما أنا، فيسرني أن يُرى كل ما أملك من صفات. لم يشأ بيغماليون أن يعرضني عريانة أمام عيون الناس. وهذا ما كنت أقوله: إذا كنت صنعتني غاية في الكمال، لِمَ لا تسمح برؤيتي دون ثياب؟.

الدوق: لن يراك أحد عريانة ما دمت حياً، وأستثني نفسي فقط.

بومبونينا: وأنت أيضاً؟ إذاً، لا تنقصك الأنانية. وهذا عين مايقوله لي وصيفي وبيغماليون. لكن، كلا، ياسيد! أريد أن يرى كل الخلق كم أنا حسناء فائقة الحسن.

الدوق: انظري، ياحلوة: من الضروري أن أربّيك على يدي من أجلي وحدي، أنت شيء جديد، فريد، مدهش يُحب بملء الروح، وإن كان دمية. وأكرر: لا تديمي النظر إلى نفسك في المرآة. بل انظري إليّ.

بومبونينا: أصبحت لا تعجبني! .

الدوق: نعم. سرعان ما مللتني ولما تمضِ ساعة واحدة علينا معاً.

بومبونينا: وعدتني بقصور وحفلات ورياض ولآلىء. من أجل ذلك كله مضيت معك وحيدة دون وصيفي ودون الدمى الأخر. أَو أفِرّ منهم لكي ألقي عصا الترحال في هذا المكان! أنا لا أرغب في البقاء هنا.

الدوق: بالطبع. ولا أنا! من كان يخطر على باله عطل السيارة؟ .

بومبونينا: هناك سيارات أكثر أماناً.

الدوق: لا أعرف سيارة أأمن من سيارة (رولي) آخر طراز.

بومبونينا: وها أنت ترى أيّ أمان لها. كانت تسير كما ينبغي لها. ثم: باف! في عز الطريق، وانحطم فيها شيء ما.

الدوق: كان شيئاً لا يمكن تفاديه. وقد انطلق سائقي وعامل الطريق صاحب هذا البيت بحثاً عن قاطر.

بومبونينا: وإذا قضينا الليلة كلها هنا؟.

الدوق: سأكفر بحظي، لكن... ماذا بوسعي أن أصنع لك؟ نحن بعيدون عن كل سكنى. سيتأخران في العودة مهما سارا سريعاً. لكن، مادمت قربي، فكل شيء عندي سواء. أنت وحدك غايتي. إذا كنت إلى جانبك، فكل الأشياء عندي سواء.

بومبونينا: أنا لست كذلك. أشعر بالغثيان. سيقبض علينا بيغماليون الحاذق جداً. ووداعاً للهرب!.

الدوق: ستكون حينئذ الكارثة! لكن ذلك لن يحدث.

بومبونينا: بل سيحدث.

الدوق: (**يذهب نحوها متودّداً إليها جداً**). لكن، ياحميقاء، يادُميّة، ياسحري الخالص، كم أهيم بك!.

(**محاولاً معانقتها باندفاع عاطفي**).

بومبونينا: (**تصدّه بإشارة منها**). إيّاك! إياك!.

الدوق: لا تغضبي، ياحلوتي.

بومبـونينا: (**تقـوم بـعض الإيماءات بوجـهها في المرآة، ثم تستغرق مرة أخـرى منتشية بتأمل ذاتها**) . هربت لألهـو وأستـمتع، وليس من أجل لهـوك ومتعتك . (**تضرب بالمرأة على تنورتها**) . ما أتعس هذا الوضع كله! .

الدوق: متى تـأتِ السيارة، نخرج مهرعين. سنكون غداً في منزلي في بـريديو آلتو . وخلال أيام قلائل نكون في باريس .

بومبونينا: (**مصفقة**) . آي، نعم ،نعم، باريس! باريس! يقـول عنها بيغماليون إنها جميلة للغاية . كان ينوي أن يعـرضنا هناك قـريباً جداً . إذاً، إلى باريس! إلى باريس! .

الدوق: كم يفرحني أن أراك تنتقلين في لحظة واحدة من الحزن إلى الفرح! .

بومبونينا: هات لِي ماء! .

الدوق: ماء؟ .

بومبونينا: لابد من ترطيب تروسنا باستمرار . أريد ماء .

الدوق: وأين أجد الماء الآن؟ .

بومبونينا: ابحث عنه .

الدوق: لكن، عزيزتي بومبونينا ...

بومبونينا: أريد ماء. قلت لي إنك ستشبع كل نزواتي. ابحث عنه في السيارة .

الدوق: في السيارة، لا توجد غير قناني الخمر .

بومبونينا: إذاً، ابحث عنه هنا، داخل البيت .

الدوق: لكن، ياحلوة ...

بومبونينا: (تشرع ناشجة). أريد ماء .

الدوق: لاتبكي !لا تبكي! تنفطر روحي حين أراك باكية .

بومبونينا: إذاً، هاتِ لي ماء .

الدوق: سأرى، سأرى إن كنت أجده. لاتزعلي .

(يشعل عود ثقاب، ويدخل من الباب الأيسر داخل البيت. تظل الدمية وحيدة في وضع من يفكر. لحظة صغيرة من العطالة والصمت).

بومبونينا: سأقفل عليه وأهرب وحيدة. لا لن أهرب. ما أشد خوفي من الهرب وحيدة! . لكنني سأحبسه. سأرى إن كنت أحبسه. سأجعله يتمزّق من الغيظ. سأعبث به كيلا أضجر. **(تسير على رؤوس أصابع قدميها حتى الباب الذي خرج منه الدوق، وتحرك المفتاح)**. هكذا. هكذا! . يالحسن الحظ! النوافذ هنا مشبّكة بالحديد ولن يستطيع الخروج.

الدوق: (ينادي عند الباب من الداخل). الماء! .

بومبونينا: (قرب الباب) . لاأريد ماء.

الدوق: لكن، افتحي. لقد حبستني.

بومبونينا: لن أفتح! مت بغيظك! .

الدوق: بومبونينا! .

بومبونينا: لن أفتح.

الدوق: لكن، يامخلوقة ...

بومبونينا: أنا لست مخلوقة. أنا بومبونينا.

الدوق: (**يخبط الباب خبطاً**). هيا، افتحي!.

بومبونينا: (**تضع يدها اليمنى على أنفها الصغير الحلو، وتسخر منه**). لن أفتح. أنت محتبس هنا لسوئك.

الدوق: (**يضرب الباب ضرباً**). سأحطم الباب.

بومبونينا: بذلك تحسن صنعاً، وترفّه عني فأنا أضجر كثيراً.

(**يدق بعيداً منبه سيارة**).

الدوق: أتسمعين؟.

بومبونينا: نعم، أسمع. سأتحقّق من الأمر.

(**تطل من النافذة**).

الدوق: أخيراً، هاهي السيارة حضرت، يابومبونينا! افتحي!.

بومبونينا: (**من عند النافذة**). إذا حضرت! حتى الآن لا أرى شيئاً. اسكت! إنها إمرأة قادمة سيراً على قدميها!.

الدوق: سيدة؟.

بومبونينا: نعم، هي حسنة المنظر، ورزينة جداً. تنظر نظرة من

يبحث عن شيء. تمعن الآن في النظر إليّ. تتجه صوب الباب. (**تنسحب من عند النافذة**). من تكون؟.

الدوق: (**يضاعف من خبطه على الباب**). افتحي بحق مسامير صليب المسيح.

بومبونينا: فيما بعد، فيما بعد! يسرني جداً أن أراك مغتاظاً.

المشهد الثاني

بومبونينا. خوليا امرأة جذابة وشابة تظهر في باب وسط القاع، والدوق من داخل البيت.

خوليا: (تديم النظر إلى بومبونينا دون أن تجتاز عتبة الباب). لابد من أن تكون هي ذاتها.

بومبونينا: (متأملة القادمة الجديدة). رأيتك من بعيد. تفضلي، تفضّلي!.

(تتقدم خوليا ببطء دون أن ترفع بصرها عن بومبونينا).

الدوق: (يرجّ الباب لبطاً وضرباً). افتحي! افتحي!.

خوليا: (تنظر بدهشة إلى الباب). من هنا، داخل البيت؟.

الدوق: هذا ما كان في الحسبان! إنها خوليا!.

خوليا: **(تسعى مسرعة إلى الباب وتضع أذنها عليه).**
الدوق! .

بومبونينا: أتعرفينه؟ .

خوليا: لا أعرف أحداً غيره. ومن أجله جئت .

الدوق: (بصوت مختنق). افتحي! .

خوليا: **(تحدّث نفسها متفحّصة بومبونينا بنظارة).** بالفعل، هي الغاية في الحسن والجمال. **(بصوت عالٍ).** أأنت حبسته؟ .

بومبونينا: **(تنظر إلى خوليا أيضاً بنظارة).** كنت أشعر بالسأم! .

خوليا: أو لهذا السبب حبسته؟ .

بومبونينا: نعم، من أجل ذلك. لكي أرفّه عن نفسي حبسته .

خوليا: **(تتكلم بصوت عالٍ قرب الباب ليسمعها الدوق).**
رائع! تحبسه وتهزئه امرأة ... لنقلْ دمية! جزاء ولا جزاء المجرمين .

الدوق: **(يدكّ الباب غاضباً).** افتحي ياخوليا! .

خوليا: لا، لن أفتح. خيرلي أن تكون محبوساً.

الدوق: (**يبلغ ذروة الغضب، و. يرُفق كلامه بخبط على الباب**). كيف جئت هنا؟

خوليا: هذا لا يعنيك!.

الدوق: افتحي بحق ألف شيطان!.

بومبونينا: (ببراءة، لخوليا). ماأشد غيظه! إيه؟.

خوليا: فليمت غيظاً! من أجله ومن أجلك جئت، سواء أكنت دمية أم غير دمية.

بومبونينا: (**تروّح بالمروحة بغنج وغرور**). أنا أجمل من بشر! صُنعت وأُحْسِنَ صنعي جداً.

(**تتجه للجلوس على كرسي. ضوضاء معدنية عند الجلوس**).

خوليا: أتوجد موسيقى داخلك؟.

بومبونينا: ألا تسمعينها؟.

خوليا: كل ذلك غريب خارق للمألوف.

بومبونينا: وأنت، من أنت ؟ .

خوليا: (**على وشك أن تغضب**). لكي تعلمي من أنا، جئت.

بومبونينا: أحقاً؟ لا أفهم شيئاً.

خوليا: الدمى لا تدرك غير القليل من الأشياء.

بومبونينا: لا تصدقي ذلك. فقد غرز فينا بيغماليون خبثاً كثيراً. لو عرفت أورد مالاس لصدقّت كلامي. هو واسع الحيلة.

خوليا: ليس أورد مالاس أخبث منك بأن خطفت الدوق مني!.

بومبونينا: أنا؟ أنا لم أخطف الدوق، بل هو الذي خطفني.

خوليا: إذاً، هو الذي خطفكِ؟.

بومبونينا: نعم، ياسيدتي. أخِذني من صندوقي. ووعدني بأني سأكون ملكة وسيكون لديّ قصور كثيرة. وتلال من اللآلىء والماس. بيد أني ندمت على هذا القرار. أنا راجعة إلى إخواني من الدمى. وداعاً! أنا ذاهبة.

الدوق: وكيف تذهبين؟ بومبونينا !!!! ...

خوليا: لا تخشَ شيئاً. لن تذهب.

(تبلغ الدميةَ بقفزة واحدة، وتمسك بذراعها. يسمع صرير كصرير علبة آلة موسيقية قد اهتزت اهتزازاً. دقتا جرس رنان أو ثلاث دقات متنافرة).

بومبونينا: اتركيني! دعيني!.

الدوق: (يصرف من خلف الباب). إذا أتلفتها، سأقتلك.

بومبونينا: النجدة!.. آي! آي! أغيثوني!.

الدوق: (كالمجنون). اتركيها! اتركيها!.

خوليا: (ترجّ بومبونينا مرة أخرى). أأتركها؟ سأمزقها إرباً! إرباً!.

(تضع يداً على رأسها، ويداً أخرى على صدرها. يطل من نافذة قاع المسرح اليسرى وجه خوان الأبله).

المشهد الثالث

خوليا وبومبونينا والدمى الأخرى التي يشار إليها تباعاً.

خوان: (ناظراً إلى بومبونينا). كو، كو.

خوليا: (تفاجأ مفاجأة كبرى. تتخلّى عن بومبونينا حين ترى رأس خوان الأحمق من النافذة). ماذا هناك!.

بومبونينا: (تهرع إلى النافذة). رفاقي الدمى! رفاقي الدمى!.

خوان: كو، كو.

(يطلّ إلى جانب خوان الأبلة، لوكاس غومث، والقزم وبيرناردو وآمبروسيو، ويظهر في نافذة القاع الأخرى أورد مالاس، ودون ليندو. يمسحون الغرفة جميعاً بنظرهم ناظرين بحذر. خوليا التي جمدتها الدهشة، تتأمل الدمى ذاهلة).

د. ليندو: بومبونينا!.

بومبونينا: (تذهب إلى النافذة الأخرى حين تلمح دون ليندو وتعانقه). وصيفي!.

د. ليندو: (يضمها بذراعه). حبيبتي بومبونينا!.

(تنضم الدمى إلى بعضها. لحظات من الترقب والصمت).

الدوق: (يخبط الباب مرة أخرى). ماذا يجري الآن بحق الله!.

خوليا: (تتأمل الدمى مضطربة). أأنا حالمة؟.

(تشرع الدمى في الكلام حسبما يلي دون أن تجتاز النافذة).

أوردمالاس: هيّا بنا نهرب. فبيغماليون يطاردنا عن كثب.

بومبونينا: (تتخلّى بلطف عن دون ليندو). كيف تسنّى لكم المجيء؟.

لوكاس: هربنا!.

أوردمالاس: هس! تكلّموا بحذر!.

بومبونينا: والآخرون؟.

د. ليندو: قبض عليهم بيغماليون جميعاً.

بومبونينا: قبض عليهم؟.

لوكاس: نعم. قبض عليهم منذ قليل. كان أعد عربتنا المقطورة للطواف بنا في القرى لما علم بهروبك وهروبنا. فاندفع يطاردنا وحده.

د. ليندو: في إحدى الساحات الغاصّة بالأعمدة، نزل ليصطادنا.

أوردمالاس: وأثناء القبض على بيريكيتو ولوثيندا ودمى أُخر، اقتحمنا العربة وجعلناها تنطلق بأقصى سرعتها. وها نحن هنا.

د. ليندو: هربنا كما شاءت لنا المصادفة، ورأينا عربتين واقفتين، ونوراً في هذا البيت، وجئنا هذه النافذة ونحن نفكر فيمن خطفك وفيك.

بومبونينا: (رافعة يديها الصغيرتين الجميلتين مصفقة). جيد جداً، جيد جداً ماصنعتم! ماأكبر فرحي، على الأقل، بوجودكم!.

أوردمالاس: (يقاطعها). دعونا من إضاعة الوقت الآن. نحن ملاحقون عن قرب.

د. ليندو: تعالي بومبونينا، تعالي!.

بومبونينا: نعم، نعم، نعم خذوني، خذوني.

(تقفز من النافذة معتمدة على دون ليندو وأورد مالاس).

خوان: **(يراقب خوليا ويمسح الغرفة مرة أخرى بنظرة)**. كو، كو. **(تختفي الدمى كلها بسرعة. يظل الأبله للحظة عند النافذة مكشراً في وجه خوليا ساخراً منها)**.
كو، كو.

(يذهب . يسمع الدوق يطرق الباب غاضباً. خوليا الواقفة وسط المسرح تظل تنظر إلى النوافذ. لحظة أخرى من الصمت).

المشهد الرابع

خوليا والدوق محتبساً

خوليا: (**تحدث نفسها مضطربة**) . لكن ، ماذا يعني ذلك؟ أهي أشباح؟ ماأعجب شكل وجوهها ! ... أراها ولا أصدق عيني . (**تذهب بحذر وقلق إلى النافذة اليمنى وتطلّ منها بخوف مصوّبة بصرها بعيداً لمدة لحظات**) . لقد ذهبوا . وغابوا عن عيني ، ولا أرى لهم أثراً ! .

الدوق: (**من الداخل**) . بومبونينا! بومبونينا ! .

خوليا: راحت ، يارجل . راحت .

الدوق: راحت ! .

خوليا: (**تبتعد عن النافذة وقد صارت أكثر هدوءاً و تحفظاً بسبب الخوف والدهشة ، وتدنو من الباب الذي يحتبس واءه الدوق**) . نعم ، راحت . جاء رجال غريبو الأشكال والأطوار وأخذوا بومبونينا معهم .

الدوق: افتحي لي! وإمّا لا، فلست مسؤولاً عما يجري.

خوليا: لن أفتح حتى يحضر ناس. أنا أعرف اندفاعك وغضبك. والحقيقة...

الدوق: كيف جئت هنا؟.

خوليا: (متكلمة قريباً جداً من الباب). على شكل بسيط، يارجل. ذهبت إلى بيتك وعلمت بهربك بمرافقة هذه الدمية الميكانيكية، فعميت بصيرتي وركبت سيارتي...

الدوق: ولم تتعطل السيارة، لسوء الحظ!.

خوليا: حدثني قلبي بأنك تصطحب هذه الهالكة إلى هنا لتنطلق بعدها إلى منزلك في مزرعة بريديو آلتو حيث قضيت معي أول شهر عسل.

الدوق: (مغتاظاً، صارخاً، ضارباً الباب بكل القوى التي ما تزال تتوفر لديه). افتحي!.

خوليا: فيما بعد، يارجل، فيما بعد. اسكتْ، وإلا فسوف يختفي صوتك!.

(تذهب فتجلب كرسياً وتجلس أمام الباب). الحقيقة أني لن أفتح لك حتى يحضر بعض الناس. فأنا لست على عجلة من أمري.

الدوق: افتحي بحق مسامير الصليب!.

خوليا: **(مطمئنة في جلستها على الكرسي)**. لا داعي يدعوني للعجلة.

(يضرب الدوق الباب ضرباً عنيفاً).

المشهد الخامس

خوليا والدمى السابقة التي تظهر عند نافذة القاع.
تتحدث الدمى فيما بينها باندفاع شديد ونرفزة دون أن يُسمع لها صوت، مشيرة إلى خوليا التي تجلس على الكرسي وتوليهم ظهرها فلا تستطيع رؤيتهم. أورد مالاس، ولوكاس غومث يجتازان النافذة ويسيران على رؤوس أصابع أقدامهما بحذر بالغ كيلا تطنّ نوابضهما ويقتربان من خوليا ويومئان إليها. يخرج أورد مالاس من جيبه منديلاً كبيراً. يقفز بعد لوكاس آمبروسيو وبيرناردو والقزم وخوان الأبله. وحين يصيرون قرب خوليا يلقي أورد مالاس بالمنديل بسرعة على وجهها ويعصب عينيها وفمها ويقبض لوكاس على ذراعيها يعزّزهما آمبروسيوو القزم وبرناردو، ويحكمون السيطرة على خوليا. يظل الأبله خلفهم ضاحكاً بغباء ويكشر راضياً تكشيرات فظة).

أوردِ مالاس: (بصوت هادىء مشيراً إشارات معبرة لدون ليندو وبومبونينا اللذين ظلا خلف النافذة جِدّ لصيقين ببعضهما ومفتونين). هس! اذهبا إلى النافذة المشبكة الخارجية والفتا انتباه الدوق.

(يبتعد دون لوثيو وبومبونينا عن النافذة).

الدوق: (من الداخل وقد كف عن الضرب على الباب). وأخيراً، أرى أحداً عند الشباك! حضري نفسك للعقاب ياخوليا. (بصوت أكثر بعداً). ماذا أرى؟ بومبونينا ودون ليندو!.

(يذهب لوكاس غومث إلى الباب ويفتحه بالمفتاح. يدفع أوردمالاس وبيرناردو وإينانو بخوليا نحو الباب الذي فتحه لوكاس موارباً بالقدر الذي يسمح بمرور جسم امرأة ويلقون بها إلى الداخل. يغلق لوكاس الباب فوراً، ويقفله قفلتين بالمفتاح، ويتجه إلى النافذة. كل ذلك جرى بسرعة فائقة، تقل عما حكي به هذا الكلام).

لوكاس: (من عند النافذة). تعاليا! انتهى كل شيء.

خوان: (يفرك يديه راضياً جداً وهو يرتعش من الضحك).
كو، كو.

(يعود لوكاس إلى جوار الدمى. تُسمع خلف الباب خبطة مخيفة وصرخات خوليا الحادة التي لا تلبث أن تتوقف. يظهر دون ليندو وبومبونينا في النافذة التي يجتازانها بدورهما وينضمان إلى أورد مالاس ورفاقهما الآخرين).

المشهد السادس
الدمى الثماني المذكورة

أورد مالاس: (لبومبونينا). ها نحن ثأرنا لك.

د. ليندو: (ممسكاً يد بومبونينا ويشير إلى الباب). تلك التي أرادت أن تمزقك إرْباً إرباً! أليس كذلك؟ لكنها ستُمزّق الآن.

بومبونينا: نعم، فلتُجلدْ لسوئها.

(ضوضاء أخرى قصيرة جافة خلف الباب وأنّة مخنوقة. ثم صمت).

لوكاس: (فرحاً جداً أو مقلداً بالإيماء عملية الجلد). أتسمعون؟ إنها تتلقّى جلدات ناعمة في الداخل.

بيرناردو: لا أرى عيباً في أن تجلدا والآن، إذ ثأرنا لبومبونينا فهيا نطلق سيقاننا للريح.

أورد مالاس: غيّرت رأيي. سنبقى هنا!.

لوكاس: البقاء محال!.

د. ليندو: وهو خطأ جسيم. بيغماليون يسير على أعقابنا. وهذا البيت هو العلامة الوحيدة البارزة في السهل كله. وكما لفت انتباهنا نحن، فسوف يلفت انتباه بيغماليون ويطرقه.

أورد مالاس: لن يخرج أحد.

الفزاعة: (**يخطو خطوتين باتجاه باب القاع**). سنخرج جميعاً وتبقى وحدك هنا.

بيرناردو: لاتحسب أننا كنا أبطالاً في الهرب، أنا وآمبروسيوو القزم، لكي تقودنا مرة أخرى إلى صناديقنا.

أورد مالاس: لا تكونوا مغفّلين واستمعوا إليّ. (**تقلص الدمى نصف الحلقة حوله وتضيقها. خوان الأبله يستمع متنبّهاً مبرزاً سيماء الغباء على وجهه. أوردمالاس يصفّر بالكلمات الموحة والمقنعة**). لما حرّرنا بومبونينا مذ لحظة ورجعنا إلى عربتنا، لماذا عدنا إلى هنا بدلاً من أن نهرب؟.

د. ليندو: بالطبع، لنثأر لبومبونينا من هذه القهرمانة الشرسة.

أورد مالاس: وكل ذلك لأن بومبونينا حكت لنا ونحن راجعون إلى العربة المقطورة عن الأذى الذي تعرّضت له.

د. ليندو: ولِمَ كنت تريد من قبلُ أن نهرب، والآن تريد منا البقاء؟.

أورد مالاس: لأن السحب من قبل، كانت تحجب القمر من حين لآخر. والآن صحت السماء وأضعنا وقتاً طويلاً، والنهار يوشك أن يطلع، وما حولنا كله سهول ولن نجد ملاذاً نلوذ به، مما يسمح لبيغماليون بالقبض علينا إذا رآنا. وبدلاً من تحرير رفاقنا، سنجد أنفسنا غداً عبيداً مرة أخرى، ونمثل المسرحية الأولى في مسرح آلدوركارا. وهذا عين مايريده بيغماليون.

لوكاس: وهذا مالا نريده نحن.

بومبونينا: بيغماليون، مرة أخرى! متى نجد أنفسنا متحررين منه إلى الأبد؟ ما أشدّ طغيانه!.

د. ليندو: لكن، إذا لـم نفرّ، وقـبض علينا بيـغـمـاليـون هنا، فكيف نتحرر منه؟ .

أورد مـالاس: دعـوني أتابع . مـاذا يريد منا بيـغـمـاليـون؟ أن يفـرض سـيطرتـه علينـا . ومـاذا نبـغي نحن ؟ أن نـكون أحراراً . من الجانب القوي؟ هو . ومن الضعفاء؟

لوكاس: نحن، لسوء الحظ .

أورد مـالاس: أو لحسن الحظ . لأن العـالـم ملك الضـعـفـاء المحتالين لأنفسهم .

دون ليندو: وماذا نصنع؟ .

أورد مالاس: الشرّ! فلنصنع الشر! الشر المطهّر، الشر العادل . ماذا صنع بنا بيغماليون؟ صنع بنا شراً كبيراً، انطلاقاً من رغبته الخالصة في أن يصنع لنا خيراً كبيراً . والبرهان أنه يعـدّ دمى أخرى خـيـراً منـا . ومـتى يفـرغ منهـا، تحلّ محلنا وتحطمنا . إذاً، هيّا نوقع بـه الشر، الشر الأكبر . فلنحطم بيغمـاليون هنا، في هـذا المكان عينـه قبل أن نُحطّم ذات يوم .

بومبونينا: (مصفقة) . أي، نعم. وكيف نحطمه؟ .

أورد مالاس: هو يعتمد على إثارة الفوضى والاضطراب في صفوفنا، وذلك خير له من العسف. من فوضى الفلك الأعلى يستمدّ فوضاه. - كما كان يقص عليّ لما فرغ من صنعي وأراد اختبار ذكائي. ومن «شُوش» الفلك الأعلى طلع هذا القمر الذي أعاق عملنا هذه الليلة، وكذلك النجوم، فمادامت هذه تسير في مداراتها القديمة جداً، فلن تطلع نجوم أخر خير منها. لنصنع الشر، الشر المطهّر! .

لوكاس: وكيف نصنعه ياعتريس؟ .

أورد مالاس: دعوني أصنعه وحدي. فصنع الشر وظيفتي وشغلي، ولذلك خُلقت.

بيرناردو: أنت ستتحمل المسؤولية عنا ...

أوردمالاس: سأتحمل المسؤولية عن كل شيء، يابيرناردو، الطيّب، عن كل شيء. أنا لي ألف سلف، وسيكون لي ألف خلف. وأنا ضروري جداً للعالم حتى لا يستطيع

بشـر ولا دمـى أن تعـيش وتزدهـر من دوني. **(يتـعد عن الدمى التي تراقبه بفضول، ويـذهب ببطء إلى الجدار الذي رفع عنه البندقيـة ويقلبها بيده ويفحـصها بعناية)**.

أترون؟ في كل مكان لي شركاء متواطئون، ومساعدون غيـر منظورين. أصـدقائي يحكمـون العـالم. **(يفـحص البندقية مرة أخـرى بعناية)**. هذه البنـدقيـة تبـدو أفضل قليـلاً من البـارودة التي نسـتعـملـها في المسـرحيـات، ياآمبروزيـو. إنهـا ملقّمـة، وليس سهـلاً أن تمـلأ بالبارود الكـاذب، مـثـل تلك التي نسـتـخـدمـهـا فـي المسـرح تمثيلاً وتمويهاً.

(يرفع زناد الأمـان بحـذر. يمر من أمام مـجموعـة الدمى ويذهـب إلى جدار الجـانب الأيمن الـذي يسند إليـه السلاح بوضع قـائم وبحـرص كـبير، ويدعو إليـه بإشارة من يده، رفاقه الذين يأخذون بالاقتراب منه).

هلمّوا إليّ، وأطيعوني طاعة عمياء.

(يسـمع بعيداً صوت ارتجاج سيارة ومقطورة تقترب تدريجيـاً وسط ضوضاء من الأصوات والصرير كأنها

حدائد خـردة ترتطـم ببعضـها. تقـف مذعـورة الدمى التـي أخـذت تـدنـو مـن أورد مـالاس فـجـأة. عنـد وقـوفـهـا تصطـك للحظات أحــشاؤهـا مـتـأثــرة بالوقوف المفاجىء).

بومبونينا: إنها أخواتنا الدمى! .

د. ليندو: وهي عربتنا. أنا أعرفها من ضوضائها. إنها عربتنا.

بيرناردو: أخذها منا بيغماليون! .

لوكاس: يقيناً. فلعله نقل الدمى الأخر من سيارته إلى عربتنا.

آمبروسيو: لقد قبض علينا.

الفزاعة: (رافعاً النبوت في وجه أوردمالاس). الويل لك، إذا قبض علينا! .

كل الدمى مـعاً: (تقـتـرب يائسـة من أوردمـالاس وترفع قبضاتها أمام وجهه).

الويل لك! الويل لك! .

خوان: (الذي لايستطيع الكلام، وقد مُلىء وجهه بخوف كوميدي، يهدد أيضاً بقبضتيه كليهما). كو، كو.

أوردمالاس: (يتجه سريعاً صوب الدمى وينحيها إلى جانب وهو يصفّها).

ياحمقى! تستحقون أن تتركوا إلى عبودية مصيركم. اسكتوا وأطيعوني. قفوا لصق الجدار.

بيرناردو: (للدمى). ماذا بوسعنا أن نعمل؟.

دون ليندا: (يذهب إلى جدار الجانب الأيمن حيث ترك أوردمالاس البندقية). حقاً! ماذا بوسعنا أن نعمل! أطيعوا!.

بومبونينا: **(تذهب إثردون ليندو)**. سمعاً وطاعة!.

أورد مالاس: سكوت! استعدوا وقفوا في صف إلى جانب دون ليندو.

(تنفذ الدمى الأمر وتصطف إلى جانب الوصيف).

الفزاعة: (هو والأبله آخر من ينضم إلى الصف). ماأشد طغيانه! يتحدث حديث بيغماليون ذاته!.

أوردمالاس: (يقف على رأس صف الدمى في المكان حيث ترك البندقية التي يخفيها بجسمه). رصّوا الصف.

ولننتظر هنا، ولا تخشوا بيغماليون وتحدّوه بالكلام.
أنا سأقضي عليه.

(تصبح العربة قريبة جداً. ويسمح صوت وقوفها على بعد خطوات من البيت. يزداد الصرير والضجة المعدنيين. تدوّي قوية في الهواء فرقعات سوط).

بيغماليون: (قريباً جداً من البيت دون أن يُلمح حتى اللحظة. وبصوت صارم واضح قوي). كفى صراخاً! اسكتوا!.

(تختفي الضوضاء بغتة).

الدمى جميعاً: (ماعدا أوردمالاس. وخوان الأبله)! هو بيغماليون! ها قد صار هنا!.

(تأخذ صفٌّ الدمى رعدةُ ترافقها ضجة خفيفة من حدائد ونوابض رنانة. أوردمالاس وحده ثابت في موقعه).

المشهد السابع

الدمى مصطفة وبيغماليون الذي يطل برأسه من نافذة القاع ينظر ويعيد النظر متحرياً كل أركان الحجرة ثم يمعن النظر إلى الدمى التي تنظر إليه أيضاً قلقة. فترة سكون تتبادل الدمى ومبدعها النظرات بصمت مأساوي.

بيغماليون: (من عند النافذة قاطعاً الصمت). مرحباً، بالمكرة المخادعين! يدهشني أن أراك هنا يابومبونينا. قيل لي إن الدوق خطفك. وما كنت آمل أن أجدك هنا.

بومبونينا: (بصوت متهدّج وضعيف). كما ترى، أنا موجودة هنا.

بيغماليون: نعم، أرى ذلك، أراه. ماأقبح صنعكم! والآن،

ستدفعون الثمن جميعاً. (**يبتعد عن النافذة. ارتعاشة الدمى تشتدّ على شكل مؤلم. ثم يدخل من باب وسط القاع ويقف وسط الحجرة حاملاً في يده سوطاً قصير المقبض وملوناً وملمعاً**). آه! من هذا البيت. آه منه! هو غير مسكون كما أرى.

الدوق: (**من الداخل وبصوت خافت، يدق الباب ببراجمه بلطف**). بيغماليون! بيغماليون!.

بيغماليون: (**ينظر فيما حوله**). من يناديني؟ إني أعرف هذا الصوت.

الدوق: (**باللهجة السابقة ذاتها**). افتح لي، ياسيد.

بيغماليون: ياللشيطان! من يحتبس هنا ويعرفني؟.

(**يتجه صوب الباب**).

خوان: (**رافعاً يديه كلتيهما وبنبرة خوف**). كو، كو.

بيغماليون: (**يلتفت صوب الدمى ويضربها بالسوط على سيقانها**). اسكت، أنت! ما معنى ذلك كله؟ أي منكرار تكبتموه؟! (**فرقعة سوط أخرى**). ألا تجيبون؟ سأنتزع الشك باليقين فوراً.

الدوق: (يضرب الباب بقوة أكبر مما ذي قبل). أتفتح ياسيد، أم لا؟ .

بيغماليون: صه! هذا صوت الدوق! لكني أرى بومبونينا بين الدمى. ماأغرب ذلك كلّه! .

(يزداد الضرب. يصل حتى الباب ويفتحه بالمفتاح. يخرج الدوق وقد بُعجت قبعته، ودمي وجهه، وغربل بالخدوش، وفُكت ياقة قميصه، وتجعدّت ربطة عنقه، وشُق معطفه، وتدلّت الأزرار منه وهي على وشك أن تُنزع، وتمزّقت إحدى ياقتيه).

المشـهـد الثامن

بيغماليون والدوق ثم خوليا.

الدوق: ياغضب الرب! فقد جاءت ساعته.

بيغماليون: أهذا أنت! وبهذا المنظر!.

الدوق: نعم، أنا، نعم.

بيغماليون: لكن، ماذا جرى لك ياسيد؟.

الدوق: ماجرى لي هو أن دماك هذه شياطين وليست دمى.

بيغماليون: سبق لي أن قلت لك إنها خطرة. لكن، ماذا صنعت بك؟ من حبسك، ياسيد؟.

خوليا: (**تخرج هي الأخرى ووجهها مغطّى أيضاً بالخدوش، وقبّعتها مدعوكة وبزتها ممزّقة**، وتوجّه الكلام إلى **الدوق**). ألن تتذكرني؟.

بيغماليون: وأنت لقيتِ مثلما لقي؟ من هذه السيدة؟ .

(تلطم الدمى كل منها الآخر بمرفقه، وتنظر إلى بعضها البعض راضية عما صنعت رغماً عن الخوف الذي يعتريها).

خوليا: **(مشيرة إلى الدمى).** هؤلاء، هؤلاء حطموني! جبناء! جمعتم أيديكم على امرأة واحدة وحيدة! .

بيغماليون: **(مشيراً إلى الدوق).** أرى أنك لست وحيدة.

الدوق: **(لخوليا.)** اخرسي! كفانا فضيحة! نحن في وضع مهين! واخجلي! .

خوليا: من أشياءِ أُخَر ينبغي لك أن تخجل.

الدوق: أقول لك، اسكتي! .

بيغماليون: كيف صارت بومبونينا وسط الدمى، وأنت مُحتبس مع هذه السيدة؟ .

الدوق: لا داعي يدعوني كيما أقدم لك تفسيراً. هيا بنا. **(يصل وخوليا حتى باب وسط القاع. ويقف قبل أن يخرج ليهدّد بالإيماء صف الدمى).** وداعاً،

يابومبونينا! ستكونين من نصيبي مرة أخرى وبسرعة فائقة ولو اعترضني العالم كله! .

خوليا: سأحطمها قبل ذلك .

الدوق: سيكون صعباً عليك . **(للدمى)** . وأنتم، يادمى الشر، لن تبقوا على قيد الحياة غير قليل . **(يرسم شارة الصليب)** . وبيدي هاتين! **(جاذباً خوليا من ذراعها)** . هيا، أنت، هيا! .

(يخرجان كلاهما . يسمع خارج البيت للحظات معدودات فقط صياح الدمى الأسيرة في العربة حين رأت الزوجين يمران) .

بيغماليون: **(باسماً وهو يرى خوليا والدوق يخرجان)** . سفراً سعيداً! .

(يظل لمدة ثوان متفكراً، ناظراً إلى طرف حذائه) .

المشهد التاسع

بيغماليون والدمى الثماني مصطفة قرب الجدار.

بيغماليون: (يحدث نفسه، ثم بعد أن فكر لحظات قليلة).

الحقيقة أن دماي بمحاولتها خداعي انتقمت مني. **(ترتعد الدمى مرة أخرى دون أن ترفع أبصارها عنه. يفرقع بيغماليون بالسوط وهو يمرّ أمامها)**. كم ترتجفون! لولا غرور كبير دغدغني رغماً عني، عند رؤيتي حسن صنعي لكم، والحياة التي بثثتها فيكم، لجعلتكم جميعاً مزقاً، مستثنياً منكم بومبونينا. فربما أثار الحزن زوال هذا الجمال العابث الكامل من الأرض. **(يفرقع بالسوط بقوّة مرة أخرى، يشتدّ ارتعاد الدمى وسط صرير طويل للوالب ونوابض تهتز اهتزازاً)**. أنتم خائفون. أليس كذلك؟.

أوردمالاس: (الوحيد الذي لا يرتعد). خوف عادي.

بيغماليون: مرحباً بمفستوفليس! هذا الهروب كان لاشك من تدبيرك.

أورد مالاس: من تدبير من سيكون، إذاً؟ ها أنت ترى أن سلوكي لا غبار عليه وإن كنت دمية. ينبغي لك أن تكون راضياً عن عملك الحاذق.

بيغماليون: لا تصدّق ذلك. كل فنان حقيقي يتفوّق دائماً على عمله ويفكر في أن يتخطاه. هو يعجب به ويزدريه في آن واحد. أنا في سبيلي لأصنع اليوم شيئاً ميكانيكياً أشد غرابة منك وخيراً من الإنسان.

أوردمالاس: ليس ذنبي. في أنك لم تصنعني خيراًمنه.

بيغماليون: ولا ذنبي. صنعت ما استطعت صنعه. أنتم مجرد تجارب ومحاولات.

أوردمالاس: احذر هذه التجربة التي قد تكلفك غالياً.

بيغماليون: أتهدّدني ياأحمق! ظننتك تحسن الكلام.

أوردمالاس: لا كلام عندي غير ما أوحيت به إليّ.

بيغماليون: لكني حسبت أني منحتك من الذكاء أكثر مما مُنح الآخرون. تمردُكم عليّ عبث مثل هروبكم. أنا الرجل، وأنا القوي والسيد والصانع، وأنتم لعبي، ودماي ومهرجيّ. ولاشيء آخر! أنتم ملكي كما السوط الذي أجلدكم به. (**يجلدهم جلدات عدة. كلهم يشكون متألمين ملتصقين بالحائط ما عدا أوردمالاس**). سأصنع بشكل مختزل جداً شيئاً خيراً من الإنسان. وأنتم مازلتم مجرد مهرجين بدناء في مسرحي، ونزوة عبقرية من خيالي، ومهارة ميكانيكية بحتة. وأخيراً ما أنتم غير عبيد. أنتم أعجوبة، وأنتم لاشيء أيضاً.

أوردمالاس: نحن كما أنت. ينتابك الغرور، وأنت شيء عابر ولسوف تنتهي أيضاً إلى العدم مثل بني البشر كافة.

بيغماليون: وما أدراك بما وراء الموت، يا تافه!.

أوردمالاس: وأنت، أتدري به؟.

بيغماليون: وتواتيك الجـــرأة على الردّ عليّ، يا أحـــمق. أنا وحـدي أكـفي كـيـمـا أردّكم إلى سـواء السـبـيل، أنت والآخرين وشعباً كاملاً من المهرجين أمثالكم. لذلك أحـببت أن أطاردكم وحـيـداً دون عـون من أحـد، ولو اصطحبت ناساً لزدتكم قدراً وغروراً على حسابي. أنا لست غشاشاً وأعرف مدى قدرتي. (**يجلدها جلدات أخر. تسري قشعريرة خفيفة متباينة في صف الدمى التي ملئت رعباً**). هيـا! خطوة إلى الأمـام، سِـرْ! سأقدّمكم ليلة غدٍ إلى الجمهور الإسباني لأول مرة. ولن يحسب أحد إذا رآكم تمثلون أنكم كنتم قادرين على الفرار والتمرّد كالبشر، وإن كنتم دمى. هيا! استعدوا! تقدموا بسرعة إلى العربة!.

(**تتأرجح الدمى مترددة**).

أوردمالاس: (**الدمى**). مكانكم! (**لبيغماليون**). لا رغـبة لنا في الذهاب.

بيغماليون: ألا تذهبـون؟ (**يفرقع بالسوط مرة أخرى ويلتفت جهة الباب المركزي**

الذي يشير إليه بإصبعه، ويصيح بملء صوته بلهجة صارمة قوية.) هيا إلى العربة! (تترك الدمى المذعورة الصف الذي كانت تشكله عند الحائط وتشرع في السير ببطء واحدة إثر الأخرى باتجاه باب وسط القاع. يظل بيغماليون مشيراً بيده إلى الباب دون أن يلتفت فينظر إليهم، واثقاً بنفسه وبخضوعهم لإرادته، يرفع أوردمالاس يده سريعاً إلى ما وراء كتفه ويأخذ بندقية الصيد، ويقبض عليها خلال لحظة واحدة ويطلق على ظهر بيغماليون من قرب. يسقط هذا الأخير متكوماً على الأرض.) آي! النجدة! (تتوقف الدمى عن السير ذاهلة، وتتأمل الجسم الساقط على الأرض. يتعالى صخب الدمى الأخرى خارج البيت. يضع أوردمالاس البندقية على الأرض ويتقدم بعزم إلى حيث يرقد بيغماليون. ينحني ويتأمله إزاء دهشة رفاقه الساكنين الجامدين وكأنهم فقدوا القدرة على الحركة فجأة. فترة صمت في الغرفة لايقطعه غير اللغط في الخارج).

أوردمالاس: (**بعد أن تأمّل بيغماليون باهتمام**). توقّف نابضه المركزي. (**يرفع رجله بسرعة ويستند بقدمه إلى صدر بيغماليون**). هنا موضع الإبداع الأكبر! (**تشتد خارج البيت جلبة الدمى الأسيرة المقيدة في العربة. ضوء صباح شاحب يدخل من النافذة**).

دون ليندو: (**يخطو خطوة.**) ماذا حدث؟.

أوردمالاس: كما رأيتَ: قتلته.

بومبونينا: (**تخطو خطوة أخرى إلى جانب الوصيف وتنظر بإمعان إلى بيغماليون**). هوّي! كم صار شاحباً!... أنا لم أرَ ميْتاً قط!.

دون ليندو: وأخيراً، صرنا أحراراً!.

بيرناردو، وآمبروسيو: (**وكأنهما يسبّحان**). وأخيراً! وأخيراً!.

دون ليندو: (**معانقاً دميته**). لن يكون لك حبٌّ آخر غيري يا بومبونينا.

بومبونينا: سأعمل ما استطعت، يا ليندينو! .

د. ليندو: لننسَ الماضي! .

بومبونينا: كل مـا جـرى في الماضي تقع مـسـؤوليـتـه على بيغماليون، (**مشيرة إليه ممدّاً على الأرض**). الذي جعل براغيّ ضعيفة جداً.

لوكاس: لحظـة! (**يهـرع إلى المنضدة ويتناول المصباح عنها ويحمله إلـى حيـث بيغماليون ويضعه قربه على الأرض**). وإذْ لاتوجـد لدينا شـمـوع هـنا لتكريم الأمـوات، كـمـا نصنع فـي المسرحـيـات فلنضيء لـه بهـذا المصباح .

(**يحيطون جميعاً ببيغماليون ويراقبونه بفضول**).

أوردِمالاس: (**يضع إصبعه على شفتيه**). هس! فلنصـمت الآن! هلمّـوا إلى العـربة حـيث رفـاقنا مـقـيـدون، ولننصرف بأقصى سرعة دون أن نفكّ وثاقهم أو نقصّ عليهم شيئاً مما جرى حتى نصبح بعيدين جداً.

بومبونينا: ولِمَ؟ .

أوردمالاس: كيلا تساورهم الرغبة في الدخول والفرجة على الميت، وبذلك نضيع مزيداً من الوقت، والنهار يوشك أن يطلع وسوف يأتي إلى هذا البيت ناس.

دون ليندو: أجلْ، فلنذهب، فلنذهب الآن.

بومبونينا: إلى أين؟.

أوردمالاس: إلى المغامرة بصحبة رفاقنا، إلى التغلغل في الريف، والسير قدماً في العالم، إلى حيث يقودنا مصيرنا العجيب كدمى.

د. ليندو: (**مطوّقاً بومبونينا من خصرها.**) نعم، نعم، إلى حيث تقودنا المصادفة والمغامرة سعياً وراء مصيرنا.

أوردمالاس: تعالوا إليّ جميعاً! ولنهرب! الحرية! الحرية! (**يخرج وتتبعه الدمى التي تصيح أيضاً: الحرية! الحرية!**)

(يزداد اللغط خارج البيت بشكل مفزع. خوان الأبله آخر من يخرج. يلتفت من باب القاع وينظر مرة أخرى إلى بيغماليون ويقوم أيضاً بإيماءات فظة

بوجهه، ويفرك يديه بسرور كبير مطلقاً بصوت مبهم صياحه: كو، كو، ويظل على المسرح مختبئاً. يُسمع وسط صياح يصم الآذان ارتجاج العربة التي تنطلق فجأة وتسير سريعاً وتضيع ضوضاؤها كلها في الأفق البعيد. بعد ذلك يسود صمت عميق. يُرى ضوء الفجر البنفسجي والضعيف من النافذة).

المشهد الأخير

بيغماليون ساقطاً على الأرض. خوان الأبله في مخبئه.

بيغماليون: (**ينهض بصعوبة نصف نهوض**). وأخيراً، رحلوا! لو لم أتظاهر بالموت لقضوا عليّ. (**يحاول أن ينهض عبثاً**). لاأستطيع النهوض. إني أنزف وأموت وحيداً دون أن ألقى مساعدة من أحد! الآلهة تنتصر دائماً وتسحق من يريد أن يسرق أسرارها. كنت أنوي تجاوز الكائن البشري، وقد قتلتني دماي التجريبية الأول بخسة وغدر. ما أحزن مصير الإنسان البطل الذي ما تزال تمرغ أنفه بالتراب دماه بنات خياله!.

خوان: كو، كو.

بيغماليون: أأنت هنا؟.

خوان: كو، كو.

بيغماليون: سوف تنقذني، ياأبله. أنت الدمية الطيبة...

خوان: كو، كو.

بيغماليون: ساعدني.. دون مساعدتك، سوف أموت.

خوان: كو، كو.

بيغماليون: سيكون مدعاة للحزن.. لن يصنع أحد مرة أخرى دمى حية مُتقنة غاية الإتقان كما صنعت.

خوان: كو، كو.

بيغماليون: (يستوي قليلاً). لكن، ماذا تصنع؟ ألن تساعدني؟.

(يدنو خوان من بيغماليون ويضربه بالبندقية على رأسه. يرتطم جذع بيغماليون بالأرض ارتطاماً عنيفاً).

خوان: كو، كو. **(يومئ بوجهه إيماءات فظة فاركاً يديه بسرور عظيم، يغادر الخشبة بسرعة ويطل على النافذة**

رافعاً يديه ملقياً آخر نظرة على بيغماليون). كو، كو، كو، كو، كو، كو.

(يدخل الغرفة خفاشان وهما يدوّمان، ويتقاطع طيرانهما مرات عدة في خفق مجنون. يسمع بعيداً صياح الديوك).

ستار سريع

خاثينتو غراو ديلغادو

ولد في برشلونة عاصمة مقاطعة قطالونية في إسبانية، ومـات في بوينوس آيريس عاصمة الأرجنتين عام ١٩٥٨ . بدأ حياته الأدبية بكتابة الرواية، لكنه سرعان ما تحوّل عنها إلى الكتابة للمسرح، ساعياً إلى خلق مسرح متميّز انطلاقاً من بعث الحياة في رموز قديمة مستمدّة من التراث الأدبي والميثيولوجي.

أهم أعماله التي أخذ مواضيعها من الرومانث القديم، والتوراة، والميثيولوجية: الكونت آلاركوس- والابن الضال - والسيد ده بيغماليون - والخادع الذي لايُخدع. وهي كلها ذات بناء مسرحي جيد، وتدل على معرفة مؤلفها معرفة واسعة بالمسرح الأوروبي المعاصر.

أمّا أهم مؤلفاته في المنفى فهما: نظارة ثِلِسغورو- ومصير- وله في مجال البحث الفكري: اسبانية في عصر أونامونو، وهو تشريح للحياة في إسبانية في الفترة السابقة على الحرب الأهلية ١٩٣٦.

مسرحية «السيد ده بيغماليون»، تطرح مشكلة المواجهة بين المُبدِع والمُبدَع، واستحالة وجود أحدهما دون الآخر، وإلا أفضى الأمر إلى التدمير دون خيارٍ ما سوى الاستعباد.

الفهرس

١٠٠٠ ط ٢٠٠١/١/١

الطباعة وفرز الألوان مطابع وزارة الثقافة

دمشق ٢٠٠١

سعر النسخة داخل القطر

١٢٠ ل.س

في الأقطار العربي

٢٤٠